# ريشة حلم وألم

**مجموعة قصصية**

**اصدار دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع**

| | |
|---|---|
| **منى عبد اللطيف** | **هبة جمال** |
| **أمال بسمة عريف** | **وفاء بقاش** |
| **خالد أحمد بدوي** | **سلوى آيت علي** |
| **د. جمال الجزيري** | **عبد القادر كشيدة** |
| **سليم القسطي** | **سارة بزير** |

## دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع

| | |
|---|---|
| حقـــوق الطباعـــة و النشـــر و التوزيع | دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع |
| العنوان | المنصورة – كلية الدراسات الإسلامية<br>القاهرة – حلمية الزيتون<br>Dar.elmona@gmail.com<br>00201006101006 – 00201155956285 – 00201142129140 |
| رئيس مجلس الادارة<br>مدير الدار | منى عبد اللطيف<br>أحمد مصطفى |
| تصميم الغلاف | أحمد حسن |
| اسم الكتاب | ريشة حلم و ألم |
| اسم المؤلف | منى عبد اللطيف و مجموعة مؤلفين |
| نوع الكتاب | مجموعة قصصية |
| رقم الإيداع المحلي | 2020/ 20035 |
| الترقيم الدولى | 978-977-6853-05-8 |

## منى عبد اللطيف

## مقدمة :

## القوى المغناطيسية للحب

الحب قدر محتوم لا اختيار لنا فيه .. كالقوى المغناطيسية تجذب إليها الاقطاب المختلفة لتندمج وتكمل بعضها البعض ... هي تشعر كأنها بين حجري الرحى بدونه ... مشتتة .. تائهة و كأنها تدور في فراغ مصمت ... في فراغ كونى لا حياة فيه غير حركات الكواكب الروتينية في دوراتها المعتادة حول الشمس .. مازالت تدور في فلكه .. مازال يحمل جهاز التحكم عن بعد .. ليرسم لها خطواتها لترقص كالطائر المذبوح من شدة ألم الفراق .. الفراق التي تختاره طواعية ثم تهرع إليه لتختبئ منه فيه كطفله اخطأت و تخاف من ابيها و لكنها تلتمس الأمان ف احتضانه لها .. هكذا هو لها .. الأمان الذى تبحث عنه .. و هو دائما ينتظر عودتها .. بكلماته الهادئة .. المطمئنة لها .. تحتضنها كلماته لتفرغ كل ما في جعبتها له .. تشعر ب الارتياح تجلس على ركبتيها أرضا و تضع رأسها على فخذيه .. يعتدل ف جلسته على كرسيه و يعبث في خصلات شعرها .. يمازحها.. تغمض عينيها و تذهب الى عالم الاحلام.

( من كتاب * رتوش نسائية * للمؤلفة منى عبد اللطيف )

بهذه المقدمة بدأت المجموعة القصصية الفائزة في مسابقة دار المنى للطباعة و النشر و التوزيع الرابعة

كانت المسابقة الأولى 2016 ديوان مجمع طيف الأحبة و مجموعة قصصية الفستان الأحمر ، 2017 ديوان بنت من نسل حوا و المجموعة القصصية مذكراتي الصامتة ، 2018 ديوان أوان الورد و المجموعة القصصية عفارم

2020 كانت لها طابع خاص فلم تكن المسابقة قاصرة على الشعر و القصص القصيرة فقط بل شملت أدب الطفل

لقد كان الاختيار صعب للغاية فكانت الأعمال المرسلة معظمها جيد و يستحق الفوز ، استبعد بعضها لأنها سياسية و هذا يتعارض مع شروط المسابقة ، لكن في المجمل الاعمال تنم عن وعي ثقافي في كل الوطن العربي ، و تم الاختيار من قبل اللجنة بحيادية ، و تم التغاضي عن عدد الفائزين و قد كان مقدر له ثلاث فائزين في كل فرع ، فأصبح الفائزين في مجال القصة 9 مواهب ، وتم استبعاد الفائز الأول لاعتراضه لعدم اختيار عنوان قصته الفائزة اسم للمجموعة

و اعتراضه على اختيار اسم المجموعة للفائز الثاني و هذا حق أصيل للدار و يُرفض تماماً التدخل فيه ، فطلب انسحابه من المسابقة و تمت الموافقة على طلبه

أتوقع لجميع الفائزين مستقبل باهر في مجال القصة و الأدب و إثراء الحياة الثقافية بمواهب جديدة ، و الكثير من الكتب المفيدة و الممتعة التي تساهم في ازدهار الثقافة العربية ،

## الفائزة : أمال بسمة عريف

## ريشة حلم وألم

تحت رماد الأيَّام الخَوالي ها هو يُلملِم بقاياه وأشلاءه المتناثرة من وحشة الفقد والهجران على لوحاته المَنْصوبة عبر زوايا مشغله الآنيّ منذ زمن نطاق الزّغاريد ومحاولات الانقلاب ، تحامل على كاهِله ودلف ... شخصًا ضعيفًا مليئًا بالتَّناقضات المخيفة مسكونا بلعنة أمَله المُجهض بين الواقع المعاش والحلُم المَبتور المبتغى ، التفت بحركة دائريّة متثاقلة في اِستياء وقرف وهو يَستكمل تطلُّعه إلى لوحاته المتراكمة بالمَشغل ، كلٌّ من يراها يقول إنه رسَّام تجلس له المُعجزات الأربُعاء إلا أنه لا يشعر بذلك أبدا ... رمق لوحاته المعَلقة على جدران المشغل بنظرات بلهاءَ ساخطة ثم تمتم بكلمات نابيَة وهو يبحث مقلِّبا ما فوق الطاولة الخشَبية من طوقِ الكُتب العائمة في عادة الأعوام عن سَواد الحبر !

كان الجمْعي ماهرا في محاكاةِ الجمال حين يجعل من تلك الوجوه والأشكال التي يراها يوميا بالقرية لوحاتٍ فخمة ... عيونٌ مسودَّة يُطوِّق أهدابَها الكحلُ وشفاه محمرَّة أشبه بحشرة القُرمزة الزاهيةِ بلونها الآجوري البرَّاق ، على غير عادته اليوم قبل أن يستسلم للنوم أمسك ريشته النَّاعمة وراح يترجم خيبة حياته التي تؤرقه وَتلُفه عناءً ... على

اِحـدى الألـواح الخشـبية الفارغـة حمـلَ شـيئا مـن الصّـبغة الحمـراء لينْثرهـا على شفتيها فتحاكي صـورة حسْـناء تصـطاد مـا تيسـر لهـا مـن قلـوب الشُّـبان اللاهِـثين وراء نظرتهـا الحَانيـة الآسـرة . تجـرَّع الكـأس الأولى وبلـعَ ريقـه ليُشـيح بوجهـه العـابس المكفَهـر ، رمـى الرِّيشـة أرضًـا وراح يشـبك يديـه مرتجفا كلاجئ أُلقـيَ في عـرْض البحـر مـن غـير طـوق نجـاة ، حـكَّ ذقنـه الـتي أُشْعلت بحرائق الشّـيب ثـم نهـض مـن مقعـده و وقـف ، ابْتعـد عـن اللوحـة بخطـوتين وراح يتأمَّـل مـا خطَّـت أناملـه مـن غَـير وعـي مستسـلما للأمـر الواقـع هـو أنَّـه مـازال يُحبهـا ... أسـند رأسـه علـى حافـة النافِـذة ليشْـعل سـيجارة أخـرى وعـبر حلقـاتِ دخَّانهـا المتلاشـي علَّـق كـل خيباتـه الـتي أتَتـه بغتة في زمن غافِـلٍ عـن مالـه علاقـة بـالفرحِ ومعانِيـه فـولىَّ إثرهـا إلى الرِّيشـة يمزج الألـوان المبهَمـة مـبرِزا تقاسِـيم العيُـون العربيَّـة حتـى خُيِّـل لـه للَحظـة أن اللوْحة ترمُقه بنظراتها المنبعِثة من ماضيه السَّحيق فقال :

_لا ينقصُك غير أن تتحَدثيِّ معي خَدُّوج_

أحـسّ بـدخانِ سـيجَارته يكْـتم أنفاسَـه فرائحـة التبْـغ الـرِّخيص تـوقظُ في أعمَاقـه المـاردَ الفحـل الـذي يُعربـد في لياليـه الحمـرْ يتلـوَى كـالمَجنون تحـتَ سـياط الضَّـوء المتراقـصِ علـى صـخَب الإيقـاع الفرنسِـي المبْتـذل ، مجـدَّدا تتـزاحم الـذكرَيات والأحـداثُ في تلافيـفِ مخِّـه لتزيـدها انكماشًـا وتَبعـث بالجمْعي من مرَامـي العُمـر المغتَـال إلى كآبـةِ خريـفِ هـذه القريـة العتيقَـة ، لم

يكـن يريـد شـيئا في حيَاتـه غـير أن يكَـون عريسـهَا وهـو في كَامـل تألقِـه وتأنقه يأخـذ بيـدها _خـدوج_ ثـم يقيمـانِ طقـوسَ ليلـة الخَمـيس علـى دويِّ البـارود والبنـدِير لكـن للأسـف حتَّـى الحيـاة تمالَحـت طقُوسـها وخذَلتـه لتبقيـه عائِمـا في صُـراخه حتـى خرَجـت صـورته كَعاصـفةٍ لولبيَّـة مـن عينَيـه المُحمَـرتَين ثـم اسـتَقرَّت وسَـط البُؤبـؤ كمَـا يَسـتَقر الضـوْء وسَـط قنديلـهِ المهترَئ.

كلُّـه شـتَاتٌ ونثَـار ، الجمْعـي لايـزال يمثِّـل واقـعَ القريَـة هَاتـه بخطُـواتٍ مرسُومةٍ وغـير مرسـومَة لـنفسٍ مجهولـةِ الحَـال والإنتمـاء يحْمـل مشْـعلا ومعـالمُ البؤسـاءِ في تقاسِـيم وجهِـه ويأْسـا عـن كـلِّ المعَـذَّبين في رحْبـة هَـذه الأرض ، صـائلٌ جائـلٌ يَنتشـل مـن قسَـاوة الحيَـاة لـذةً ، يحْمـل صـرَاخ أهـلَ الـدين المصطَنع والعـاداتِ البالِيـة الـتي ألقِيـت علـى مَسـامع المُعـاقين داخِـل صـدرِه الذي أغْرق كمركبٍ مفجُوع فأضْحى تائهًا في ميتَافيزيقا اللاوُجود .

تغْمـره نشـوَة طفولِيـة ، أَخـذ يقهقـه بصَـوت عـالٍ ثـم توقـفَ فجـأة كمـن انقطـع بـه وَصـل الحيـاةِ يحـدِّق في اللَّوحـة الكـبيرة الـتي أنهَاهـا لهـذه اللَّيلـة والتي رَسمها لها ، اقْترب مـن اللوحـة أكثَـر ليحَـدِّثها عـن حَنِينـه الـذي يُـوخِزه ببرودٍ مميت ليتَراجع عنها كالمذعُور من رؤْية ميِّتٍ أمامَه فقال سَاخطا:

- "لا يهُمني أمرُك ، ثمَّ إني لا أُحبّك ... لا أحِبك" ،

امتـدت أنَاملـه تزحَـف علـى ملامِـح الرسْـمة كمـا تزْحـف السِّـحلية علَـى الكثِيـب لتلهِبـه نظرَاتهـا السَّـاحرة فغـدَى منتَشـيًا عنـد ملتقَـى شُـطآن بحرهَـا المرْمـريِّ يسْـكنه الشَّـفق القَـاني المَخبـوء بِشـفتَيها يُكهربـه فحِـيح صَـوتها المبُحـوح الـذي لاَ يـزال صَـداه يتَـردَّد بـآخِر نفَـق طَبلـة أذُنـه وَهـي تقُـول: "انتهى الأَمر فَعرسي غَدا ولنْ نلتقِي بعد اليوْم"!

الحـوَار الصَّـامت بلَـغ مُنتهـاه لـيُحسَّ باختنـاق وغصَّـة تقـف في حلْقـه كَعظمـةٍ لا تُبتلـع ، صَـرخ الجَمعـي لأوَّل مـرة دَاخلـه كأنَّـه يَقـول: "فقـدت تماسُـكي ، قـد غَشَّـتني أطْيـاب دنيـاك المُخـدرة يـا خـدُّوج" ، بريـقٌ غريـبٌ في عيْنيه فأخذَ ينْظر بلا وعـيٍ الى رسْـمته لتَتقلـب ذَاكرتـه بـين لُعبـة المـدِّ والجـزْر فتَجعل مِنه تائهًا في رِحلة متَاهات و هواجِس .

ظلامٌ حالكٌ يمْطر القَريـة في غيْـر انتظَـام ، فـتَح نافـذَة المشْـغل المُطلَّـة علـى الجَانـب الشَّـرقي للقريـة لـتَلفح نَسـمات بـاردة مشَـبعة بصَـقيع هـذا المَسـاء المُبكر وَجهه معِيدة بعْض الوَعي لِعقله مرَتِّبة نبَضات قلْبه المقبُوض ،

- ثمَّ ماذا ؟ ...

هَكـذا قَـال الجمَعـي ليسْـرع كاللَّحظـات الأَخـيرة التِـي تتَلاشـى بِسـرعة مـن عمْـر هَـذا العَـالم التَّعـيس المصـبُوغ بلَـون العَنـاء القَـاتم ، بـالخوْف والتَّـرَدد وهُـو يَتسـاقط شـيْئا فَشـيئا في شِـراك النَّـوم حَـاملا حُسـن ذلـك الوجْـه إلى المَقهـى كَـي يَرتشـف قَهـوة ضُـحاه كَعادتـه . الأزِقـة تَمـر

بالوَافـدين فِـي حَركـة مُتمَاوجـة علـى إِيقـاع جَلبَـة متناغمـةٍ يَميزُهـا هَـديرُ العَربـات المَـارَّة ، بَعـد قطـعِ الطرِيـق الترَابِّـي المُلتـوي بَـين الحُقـول عـرَّج نحْـو السَّـواقي الجَاريـة مُتـأمِّلا اِنعكـاسَ صُـورته علـى المـاء الموشَّـى بضَـوء القَمـر ، وصـل إلى المقهـى ارْتشـف السَّـوداء ثُـم هَـمَّ بـالعَودةِ وصَـوت الزَّغارِيـد يمْـلأ الأرْجـاء فـاليَوم عـرْسِ خَـدُّوج حَبيبـة القَلـب ... وهُـو بـيْن أشْجار الصَّـنوبَر الباسِـقة التِّـي تُسـيِّج جَوانـب مَشـغلِه الخلفيَّـة لَمـحَ نـورَ مِصباحٍ يتحَـرَّك داخِـل حُوشـه وَمـاهِي إلاَّ لحَظـات حتَّـى ثَـار كَلبـه المَربـوطِ الَـى شَـجرَة أمَـام بـابِ المشْـغل فِـي نوْبـةِ نُبـاحٍ متَواصِـل ، تمَلّكـه الجَـزع ورَاح يـركُض وُصـولًا الَـى الرَّصـيف كَـالمجنُون يَلْـتطِم بالمـارَّة يـدْفع بهَـذا ويَصـطَدم بـذاك وهُـو يَسْتشـير دَخِيلتـه فِـي شَـأنٍ مقـترَحٍ عينُـه "لَـماذا يَلحقـون بـي"؟ سمِـع أصْـواتًا تُلاحِقـه أشْـبه بنبـاحِ كـلابٍ مسْـعورة جَائعـة تَتُـوق لِوجبَـة لحْـمٍ نـيء ، كـان يُسـرع لَاهثـا مُتعَثِّـرا في خُطـاه حَتـى وصَـل الحَقـلَ بعِيـدًا عـن القَريـة ، كـان كَـالمُتوَجِّس مـن أشْـباح السِّـينما المُرعبـة يُـدارك في رَحـمِ مخَيِّلتـه أنَّ كُـل القَريـة تلَاحِقـه فالمُعـذَّبون يتَكـاثرونَ علَـى هَـذه الأرض ، ظَـلَّ يـركُض ويـركُض في فَـزعٍ حتـى لحِقـه عِيـارٌ نـاريٌّ مـنْ بنْدقيَّة صَيد ليُحسَّ بشَيء حارٍّ يخترق صَدْره لِيوقفَه الى الأبد.

كـان نزِيفـه حَـادا لكِنَّـه انْفجَـر ضَـاحكًا وهُـو عَلـى الأرضِ مُسـتغْرقا فِـي القَهْقهة لِينفَجـر عُقبَاهـا السِّـي الخَيّـر _أخـو خـدُّوج_ بِصـياحٍ دوَى صَـوتُه في

كـلِّ أرْجَـاء القَريـة ، حَـدَّق الجَمعـي بـه وَشِـبْه اِبتسـامة مُرتسـمة عَلـى مُحيـاه ثم مَـدَّ يـده الى جَيـب مِعطفـه وهُـو يَلـهث بصُـعوبة كـبيرة ، أخْـرج صُـورتها حَدَّق فِيها ثـم شَـهَق شَـهقة شَـوقٍ واحـدة آمـلاً الِاجتِمـاع معَهـا في عـالمٍ آخَـر وفَارق الحياة وعَيْناه تُحَملقان بهَا..!

اِنفَجر صَوتٌ حاقِد منَ الجمْع وقَال:

- "الكَلب مَعهُ صُورة أخْتك خدُّوج أيْضا يا السِّي الخيَّر" ...

هنا تَمتَمت الأَصْوات فِي هِياجٍ قائلَة :

- " أَسْـرع إليهـا قَبـل أنْ تُـزَفَّ لعَريسِـها لتَمحِـي آثَـار العَـار بيَـديْك ! أسْرع لهَدْرِ دمِها قبل أنْ يُدرِكنا آذَان الفَجر وشَمْس الصَّباح"...!

# خلود في منفى القلم

من بين ظلال أشجار اليأس القاتل بمدينة الأفكار التي تُزعجني و لا تدعني أنام ليلاً، كلَّما يقَلِّب النَّهار أوراقَه زارتني تلك الذِّكريات الّتي مازالت تُحدث ضجيجًا صاخبًا في رأسِي، فيَتحِرَّر ذلك الشّطر من المجهول الَّذي يطفئ آخر نور أملٍ كان بدَاخلِي... ينحي القَمر ليكون منار الدَّرب فتُولَد حالة مستعصيةً نادرةً كحالتي، أجد نفسي أفكِّر بملامحِ الموتى من بين جدرانِ الإنكسار السّوداء الّتي تحمل علامات الهَوَانِ المهين، أصبُّ نفسي في كأس حُزْنِي لأَسير ببطءٍ نحو مياهِ البحر المالح أتأمَّل الموجات المتصادمةَ نحوي فأتجرع آخر نقطةٍ من بحري الميت.

يسيل لُعاب الأَرق ليُبعدني عن هذا الواقع اللَّعين ، يتصارَع عقلي ويحتَجُّ يعلو الشَّهيق فيتسارع النَّبض و تتمَرَّد الرُّوح عن كلِّ الأمور الواردة في مُعْجَمِي، لست نائمة و لا يَقِظَةً. أتمعَّن في تراصِّ كلِّ تلك الخَيبَات هناك على أفق التَّلِّ! أُراجع الماضي وراء زُقاق المكاتب لبرهةٍ، فأَلْتِطِمُ بأمواجِ المَلَلِ القاتل لأَجد الحياة تنْزِفُ طقوس ماضيها وتستسلم أشجار الخريف لتتساقط أوراقها المصفرَّةِ، رُبَّما اليوم أوْ غدًا نَنْصرف من اكتِظَاظِ الدُّنْيا لنحاول اذن المتابعة قصد الوصول بلا قيود.

لازلت أتذمّر من نمط حياتي الرّتيب لأُدْمن الغوص في أعماقها، أجد صوتًا مرتدًّا بداخلي يقول: "ابْدَإي بالممكن ثم انْتقلي إلى الأنْسَب... ستجدين نفسك تفعلين المستحيل فجأةً ". كلِّي احتيارٌ من اهتِمَامِك المؤقَّت الِّذي أحببته كثيرا، سُفن أقلَامي لازالت تجد في سطورك المَرْسَى، كلُّ ما أعرفه أن قلمي ينتظر أن يتَّجه نحوك... نحو نورك الَّذي يطغى على ظُلمتي في فضاء الجماد الّذي أعيشه.

أرى نفسي مكبَّلةً بماضٍ قاتلٍ وحاضرٍ مِلٍّ و مستَقبل مجهول، شخصٌ آخر هنا يريد الصُّمود و يأبى السُّقوطْ، يجعل من حزنه محطَّة عبورٍ... هو أسعد مكتئِبٍ و أكبر إجتماعيٍّ منعزلٍ، لم يكن لِصوته صدًى كانت روحه هي من تُحادثني، روحٌ تسكن ما خلف العتمة تكبَّل أجوائي بمشاعرها و أحاسيسها تعيش ذلك النَّوع من الحزن الَّذي لا فائدة منه لأكتب عنها قصّةً أرويها و أختار أبطالها، لكن ما بال حرفي يعرُج كمَن كسر طول الطَّريق ساقه، قلمي يغازل الموت وصفحاتُ دفتري تصفِّق طرباً لصخب الحياة، تتبعثر أفكاري لأبيع في سوقِ الوَداع بضاعة الحنينِ و أتمرد على سَجَّانِي لأكسر سلاسل الثَّائِرين، يستقبلني سرب من النَّورَس و يحوم حولي معلنًا ايمانه بشغفي و فلسفتي !

يَمضي الوقت فجأةً بين ليلة قضيتها أتقلّب على حصِير الوهم و العقول الفارغة، أعود إلى حالة الآمال المدْثُورة و البسمات المقتولة وراء

نحيبٍ و اكتئابٍ لتبقى الأقلام و الدَّفاتر تهْجو ندوبًا على خيوط العنكبوت العتيق لا أكثر، أدقُّ الحروف دقًّا و لا أعير بالاً لهذا الألم المدقع، أغمض عيناي لتنام أفكاري المضجرة و تستيقظ روحي المبتهجة.

"بسمات القوافي لا تبالي بالموت أبدا، الموت عندي هو أن يمُرّ يوم لا أكتب فيه"

## مناجاةٌ ليليَّة ... أنين قلب!

ثمّ لمحت كلّ تلك الغيوم و كأنّ الفؤاد قد أمطر، لازلت ثابتة أأْبى الإنصياغَ لأنين القلب المهترئ فأنا لم أبالي يومًا بسلامة حروفي من تلك الهفوات و لا كلماتي من التَّراكيب المنافية لقواعد الإعراب. جلست أمام العرَّافة لتقرَأنِي فأيقنت أنه مجهدُ التوغُّل في فُنجاني، بل مجْهد جدًا أن تفكّ سرًّا من أسراري... عدت بخيبة أمل لأُسامر سواد اللّيل وحدي في تلك الغرفة العتيقة جدرانها، استلقيت بإحدى زوايا الغموض الأربَع فيحدث أن تكتب تلك الخيبة سطرًا وأنا على هاوية الطّريق، لا تؤمني بالنّسيان يا صديقتي، كوني مؤمنةً أن الأشياء فقط تفقد أهميتها و تنزاح إلى آخر نفق الذّاكرة المعزول تحت ركام الذكريات المكدسة هناك فتُهمل و تتلاشى، فأين أنا من هذه الكينونة المندثرة بين طيَّات هذا الزّمن البائس.

صرختُ لأحدث العالم ببحّة صوتي و لأريه بشاشة ملامح عشرينِيّة ذابلة فيغشى الفؤاد سُكرا لا يفيق منه فأمسك القلم لأرسم تفاصيل كلّ ذلك الشِّتات بأفكارٍ قابعةٍ خلف ضباب الذِّكريات النَّرجسيَّة كأنّ أحدا أوصد عليها كل أبواب النّسيان و قذف بالمفتاح إلى قاع مرجانِّي للمحيط السابع، هنا أوقن أنني لم أعد أملك القدرة على التّعبير و

الكتابة كأنّ النّهر قد نضَبت مياهه لتصدر الحروف حكمها على قلمي بالنَّفي من أرض الكلمات . لازلت أفعل ذلك، في كلّ ليلة أبعث لك ثلاث رسائل أوّلها مع نسمات الرِّياح و ثانيها مع ضوء القمر أمّا عن الثالثها فهي مع كل نجمً تراه، أكتبها بكلِّ بحروف الحنين ، أرشُّ عليها عطر شوقي و اليَاسمين، غلافها الأمل لأدفن تلك الدُّموع بين السّطور في جيوب الجمل، لكن تمادَيْت في طغيانك لتجهض حروفي في رحم تلك الجمل و لتبدِّدّ الأمل كنت قد وئدت قصيدتي من غير أن تكتمل... هاهي ذي الأرض تضيق عليَّ بما رحبت حتّى الشّمس لم تعد كفيلة بأن تضيء العتمة التي صبغتها على قلبي العليل، ها أنا أتكدّث مع ذاتي كم لا ذات له لأنسى أنني ميتة لا محالة، أحاول العبور من ثقب الإبرة نحو منطقة غير مأهولة بعبق الذّكرى ، أكون فيها الماضي و الحاضر و المستقبل، حقا نسيت كيف أُلهم و أتعلم... كيف أُنقذ نفسي حين يتسرّب الدمع فلا أجد غير جيشٍ من الذِّكريات السَّاخطة يدكّه دكا . غدوت كعجوز غازلةٍ أنْسج من أبجدية بكائي شالًا يغطِّي سوداويتي لأوهب موهبة الغوص في أعماق الصّرخة حتى قعر الألم فإيّاك أن تنافسني... لأنّني رغم كل هذا التعب، قادرةٌ على هزيمتك دون أن أفعل شيئا و سأبتسم لأحتفل بنشوة الإنتصار على سَجَّاني حتى تتشقّق شفتَاي من عمق الإبتسامة.

قلت ما بال قلبي لم ينم منذ أيَّام لتجيبني تلك العجوز داخلي:

- " إنّ بداخله أحزانًا تكفيه للسّهر أعوام" كلماتُك جزء من روحك لكنّها لا تعرف طريقًا غير قلبه هو، دائمًا تكتبين عنه و له، لا حلَّ غير الصَّمت الّذي لا يزال لغتي القديمة منذ القدم، به أغسل آثامي بمنطق أحمق، سيظل العمر ،يتَّكِئ على جدار التناسي بلا فائدة فأنا لم أعد أطيق الأكاذيب المطويّة بخيبات الأمل الموجعة. صحيحٌ أنّ الصّمت يؤلمني كما تؤلمني هذه الحياة البائسة إلّا أن عواقب البوح أكثر بكثير كأن تغْرُزُكَ ألف شوكةٍ و لا تحسُّ، تماما كبعض الذّكريات لا تستحقُّ إلّا البقَاء بين النار و الدُّخان لذا أصْمت... لا تكن نصِير الكلام الزّائف و الثّرثّرة، كن عاشقًا للفعل و التّجارب .

في الرّوح شقٌّ هائل كأنه نافذة بجدران ذلك القلب العتيق يجعلك تنصت لأنينه، صدقني أنّ ذلك الأمين الغير مفهوم يعادل نصف لغات البشريّة جمعاء تفوق على كلّ المترجمين يجعلك تفهم و تحسُّ بكل ما يختلج الصدر من هشاشة حسّ و شعور، بينما أنت في غفلة من أبعاد الإيتيقا الثّلاث تسقط دموع الموتى في العالم السفلي لإطفاء لهيب أجساد الأحياء المحترفين العالقة أرواحهم في عمق فوّهة الخيبة التي لا قرار فيها

و لاصدى، أين يرتعد الجميع خوفا من صقيع الفقد و الهجران و الأوفر حظًّا يغدوا منهم تائها بين كتم أسراره و شرف زفراتٍ متتالية لا أريد عزلة بين تلك الغيوم حيث لا أحد غير الأنفس الممزَّقة التي يتخلّلها الجفاء تماما كربيع لم يظهر و خريف لم تتراقص أوراقه طرباً لصخب الحياة، أرفع رأسي فإذا بالقمر يمدُّ روحي بشيء من الضَّياء، لم يعد يخيفني شبح البعد و لم تعد ترعبني مخالب الزّمن فأنا على يقين أن موتي لا يزال على قيد الحياة، من اليوم لن أجبر ملامح وجهي على اتّخاذ معالم أخرى تعاكس إحساسي... سأكون من اليوم ذلك الطّائر الهارب من أقفاص الحياة، أحتضن خاصرة البوح و أضع جنوني صوب تاء التّأنيث ، سأحرض النجوم لتفشي عن بزوغ الفجر عقب ليلة حالكة سرت فيها بجنازة نَفسي لأولد من جديد كزهرة نمت على حافة الطّريق لا تذبل بتغير الفصول هي كروح "بسمة" ثائرة على عتبات الحياة دائما ككأس زنجبيل أعاد اليقظة إلى عروق الذاكرة .

"لازلت أرتّل في حقه حروفا من فيروز نادرٍ، كل الكلمات هنا مستوحاة من عطره لتتنفّس القصيدة وجعا يأبى أن يستريح... هنا يا صاحب ياسمينة ملطخة بدمعة ليغدوا قلمها آخر معاقل اللغة..!"

## حروف تتقن الحرفتين..!

أسندَت رأسها إلى الحائط وهي تحتضن زاوية غرفتها الشّمالية المظلمة أين وضعت مسكنات الألم، على عتبة أحلامها المَدْثورة جلَسَت تراقب سقوطها من أعلى التلِّ إلى سَحيق الهاوية لتعلوا زفرات تَصدر من عمق كدر الوجع توحي بذلك الضَّجيج الذي يوشك أن يفجِّر عروق الذّاكرة جاعلاً القلب متمايلاً، يرقص يمنةً و يسرة على معزوفة الرّحيل و الهجران فينسدل ستار النافذة ليخفي آخر أشعّة القمر لهذه الليلة ليسودها الظَّلام و يَطغى، لازال ذلك الصمت الثّقيل يصاحبها كلما ودَّت الإستلقاء ليترجم عن سبب تلك الهالات السّوداء التي تحوِّط أسفل عينيها ككحل يُطَوّق أهداب ستّينية حكيمة خبرت من هذه الحياة كفايتها، هنا يبدأ ذلك العبق يتراشق بذاكرتها لتتجرّع آخر قطرة من كأس الحنين معلنة صمودها بتلك الإبتسامة المنكسرة.

نعم إنها أنا، أحاول جاهدة أن أبتسم لقلبي الخائن الذي فقدته في مكان ما، يوم كنت أتخذ من أزقة اللّيل دروبا للعبور إليك، خذلني هذا القلب اللّعين ليغدوا كفصوص الطَّوق المتناثر معلقًا على أعتاب الأماني المسبقة بخيبات الأمل الموجعة، لازلتُ كما عهدتني أنسج لك من حلج الشّمس كوفية ذهبية لتطغى على لمعتك تلك المعلّقة بين الرموش

والعيون، أقايض عطرك ليزورني كلّما إشتقت لك لتنسحب الرُّوح منِّي إليك وأسقط في هواك للمرة السّابعة والعشرين، جاعلة بذلك البحر باسمًا رغمًا عنه متراقصة أمواجه على أوتار الخمائل فتشتغل الشُّموع وتضاء الرُّوح حتى آخر زاوية بها... يمرُّ شريط الذَّاكرة المنهكة سريعًا مستدعيًا هطول تلك المدامع الّتي تحضّر بخجل مفاجئ معلنة تضامنها ونشيج الموقف، مغتسلة الذّاكرة بهذا الدّمع الهاطل بغزارة الشوق والحنين لِتُحْبَسَ تلك التّأوهات إلى ما بعد ربيع الألم..!

بسماتي المصطنعة تلك حتّى هي باتت ميتة مصلوبةً على عتبات الغِياب لترسل تراتيل الإبتهالات الضّريرة على ذلك الضّريح فتهتزأ الأعصاب معلنةً انتشائها من استنشاق عبير البؤس الذي يحوم بالأرجاء ليدخل الرّوح نفسها في عتمة سرداب دامسةٍ تشتهي موتا ينجيها ويغلق عليها الباب وراء الباب، لازالت صامتة تكتم ما في داخلها إلا أن كلّ ذلك السّواد طغَى عليها هذه اللّيلة ليترجم نفسه على هيئة صداعٍ لعين يتلاعب بأوتار الذّاكرة كعازف لمقطوعة موسيقيّة مبتذلة صاخبة ، تسارعت الأنفاس كأنها تسابق الوقت في تتالي ثوانيه ليختلج الجسد رعشةً قلبها الوتين تسري حتّى أخمص قدماي لتسقطني أرضا من غير القدرة على النّبس ببنت شفّة، كلّ ما شعرت به أن الوقت المكنون

بين الشّهيق والزّفير طويل جدًا... هدوء وصمت يعبثان ببقايا الرُّوح الصّدأة فمن أين لي بعلاج لصفعات الرّوح القاتلة.

بينما رذاذ الذّكرى يمطر عليّ ليعيد لذاكرتي المنهكة بعض الوعي، جمع اللّيل سواده ليفارقني هو الآخر وأنا في طريق العودة من وعكةٍ الرُّوح هذه معلنا المراسم الأخيرة لرثاء ضلعي الأيسر الّذي جرّته الحياة ودفنته من غير عزاء في إحدى دهاليزها الضّيقة تحت هذه الأرض البور، هنا أتيقّن أن الوقت كان ولايزال خدعة تغريني بعروض السّراب والأجنة الخفيّة الّتي تزورني ليلا كسفينة مهجورة تقودها الأشباح تحطُّ رحالها بإحدى شطآني السّبعة في كلّ خروج لها من المرسى. لازلت أُسهب الحديث مع ذلك السّراب علّه ينتشلني من بين تشقُّقات العمر ليحيي أملي المبتور هناك على حشرجة مواويل الفراق الكئيبة و قارعة جفن ينِمُّ عن دمع تحجر أسفلها، تعبت الرُّوح فيني لتكتم كلّ ما تبوح به معالم الملامح المهترئة.

منتصف اللّيل وبعد، جزيئات السّعادة الّتي كنت أملكها إختفت لتغدوا روحي معرّاة من كلّ ما له علاقة بالفرح ومعانيه، ثقوب بهذا القلب العليل حتّى غدى نايًا حزينا كلّ ألحانه بداء اليأس تُعاب لأجد نفسي أعتذر لروحي لأوّل مرّة نيابة عن كلّ شيء قتلها وجعلها جثّة حيّة تختنق ببطئ شديد، أجد نفسي غير كلّ البشر كلّ يوم أتنفّس فيه تزداد

حالتي سوء تلك الذّكريات الّتي كانت سابقا تشحذ همّتي وتضيء عتمة الرّوح كإشراق الشّمس أصبحَت نفسها حارقة للأمل وكلّ ما يجاوره من مشاعر لتكون السّبب في ذبول وجهي الفاتن..!

تخالطني نسمة باردة مع غيوم من دخان، ضوء خافت يشعرني براحة ممزوجة بالحنين إلى دفتري والقلم ككقارب جذبه البحر للقاع المرجاني، نور يداعب عتمتي تلك لتتساقط كلّ الأوراق دفعة واحدة، أنتظر جاهدة تفكيك ملامحي المتلاصقة... أهلكت هذا العمر وأنا أقارع كؤوسًا فارغة! لماذا..؟ في الأخير لأموت عطشًا، لازلت لا أمتلك فنّ الرّد في كلَّ موقف، فقط حين أختنق بظلمه لي ألوّح للسماء لأجد الحرف يتراقص على الورق فيتعدل مزاجي وتزهر الرّوح وتمطر السماء ياسمينا لانتبه إلى الأزقة الملتوية الّتي أضحت مستقيمة أثناء عودتي فأسارع لعناق روحي كما تعانق الألحان الأصيلة أوتار العود، صدّقني عقيم هو الحرف الّذي لم ينجب منك قصيدة.

يلتفُّ حول يراعي القصور لتكتسي حروفي بك، مازلت الكتابة لك... عنك وبسببك، في هكذا لحظات أمارس عادتي السيئة بالكتابة لتعتزل الحروف وتتخلّى عن فرحها فقط لتشاركني حزني، لازالت بسمة تتمرّد و تتفرّد بالكتابة وحروفها تتقن الحرفتين..!

"حرفك الفاتن يتوشّحني خوفا و يقطّن آهاتي المذبّحة، يختنق عبثا إن أعلنتَ الغياب، فيا فانوس العشق أبزغ يا أيُّها النائم خلف قضبان أضلعي رفقًا ... فعطرك عندي ينْسِف جسد القصائد و أهازيجك المأجورة تدمي سفوح أوراقي"

## لابُد من شروق الشّمس!

جريحة هي الشّمس عقْب خصام البارحة وهاهي ذي تحتضر مُلَمْلِمَة بقايا أشعّتها ليلفّظ النّهار آخر أنفاسه فينام كما هو حاله محتضنا خيبة أمله المعهودة، جلستُ على ربوة بمنأى عن ضجيج المدينة أتأمّل شبح الذّكريات وهاجس اللِّقاء لِيُرفَع السِتار وتظهر لوحة ألَمي المنسيِّ معلّقة بجدران الرُّوح السّبعة أينما إلتفّت أجدها! علت إبتسامة ألم على وجهي معلنةً ذلك الصّمود في وجه دياجير حرب الأفكار بآخر نفق الذَّاكرة متجاهلة دعوات الخيبة نفسها لحضور حفل تقليد أوسمة الصّمود والثّبات.

بقي الوضع على حاله حتّى جاء شيخ طاعن في السّن مجعّد الملامح تختبئ حكمته وراء لحية كثّة أشعلت بحرائق الشيب ليكتسي المُحيّا نفسه وقارًا لا مثيل له، وقفتُ بناظريّ وقفة جائِل وأنا أراقبه كيف يبتعد رويدا رويدا ليختفي خلف تلك الهضبة تماما، عدت إلى عزلتي الخريفية بذاكرة تستوطنها تموجات راقصة على إيقاع أغاني الموت المدوية!

_ها أنتِ مجدَّدا تتقمّصين دور بائعٍ في سوق الوداع سلقت حرارة الشّمس دماغه فأبى إلا أن يبيع ذاكرته الهاربة على رصيف الألم إلى لهيب الخاطر.

لا أدري من خاطبني ببحّة الدّموع تلك لينتشل ذاكرتي من شرودها اللاّمتناهي محاولاً تبديد غيمة الأَحزان التِي كست جسدي لترسل الرّياح نسماتها الدّقيقة مخففة ثقل هذا الصمت المشبع بنكهة حنظل الحزن الأبدي، أفكار كثيرة تحوم حول رأسي كسرب من الحمام الزّاجل تناشدني أن أقاسمها حديث المساء، ياضجر القوافي لملم مابقي من وهم اللِّقاء في مفترق التّيه والخيبة لعلّ الرّوح تتذوق الشّفاء... نغزات في وين القلب الخافق تبتزّ النّبض بمنطق يشذّ عن المنطق لحنه الصاخب توشوشني عن مشهد إنبلاج الزَهر من صلب غيث المطر المحتضن لتربته، عن مشهد الشفق الأحمر وهو يختفي تدريجيا كمن يهمس بالوداع.

إنقلب مشهد القرية اللّحظة إلى الغسق تحت سلطان الهدوء المخيم على أجوائها ليستعيد اللّيل نفوذه على سماها وقد أُخْليت الجحور من نملها تتسابق لِلَمْلَمْةِ بقايا قطع الحلوى الملقاة على الأرصفة بين الحانات فوق السّهول، هاهو خبر وفاتي يتسرب للمرّة الثانية في لمح البصر ليصل إلى أحياء الأموات القابعة على جنبات تلك الرّبوة لدهور وسنون عدة، لم تبرح خيوط القمر سماء القرية هذه الليلة لتوقظ هودج اللّحظات المتمايلة مع دقات طبول الكنيسة بأعلى الجبل..! هنا شُدت حول خاصرتي أيادي باردة ثلجية الحس، إستدرت فإذا بطيفه أمامي

لاتسمر في مكاني من غير نبضة عرق واحدة... أسبلت النجوم أبابيل ضوء تنير عتمتي هذه وما أحوجني إليها ليختفي ذلك الطّيف كسراب متعال إلى سقف السّماء الواسعة مع هبوب أول موجة نسيم، عدت لأسامر سواد اللّيل وأنا جالسة على ذلك الجذع العتيق أتغنّى بأكذوبة المطر، ببقايا حب تحول خُضابا، بحلم تلاشى ليغدوا سرابا... لا أحد حولي غير الأشجار الّتي تعزف روائع الأنغام على أوتار الخمائل لتعلن عن تلك الرؤيا المؤجلة خلف الأبواب الموصدة.

بينما كانت السّماء تشرق عقب ليلة حالكة، أشرقت روحي معها وكأن الصبح بعبقه تنفس أوجاع أمسي كلها، لايزال الصّبح كحمامة بيضاء تشيح بوجه الدّجى عنا لنبصر معالم الدّرب ، هنا إنتصرت مجدِّدا... انتصرت بترويض البسمة ولون السعادة لأمتطيها وأصبغ من لونها بهجة تغذي الرّوح وتبعث فيها أنفاس أمل لا تنقطع.

"لا تهتمي بتلك الورود يا أنت، لا تكوني رقيقة الحس مرهفة الشعور... تأملي شموخ الوردة وسط معشر الرّياحين لا بعطرها بل بشوكها الجارح..!"

**السيرة الذاتية:**

## آمال بسمة عريف

**طالبة جامعية تخصص علوم البيئة، 21سنة قارئة و "يقال عني كاتبة" من الجزائر بالتحديد بلدية بيضاء برج ، رياضية متوجة ولائيا بثلاث رياضات مختلفة ، لُقبت بالوجه الأدبي للولاية.**

- **الإنجازات:**

**☜عضو مؤسس في ست نوادي ثقافية ولائية و وطنية. (نادي نجوم سيتيفيس، نادي رؤية للصحافة و الإعلام، نادي المواهب الصاعدة...)**

**☜مشاركة في 13 كتابا جامعا خارج الوطن (العراق ، مصر ، تونس ، المغرب ، الشارقة ...) و 17 كتابا جامعا داخل الوطن.**

**☜ في رصيدها 7 تتويجات دولية بمجال القصة القصيرة ، النثر الشاعر ، الخاطرة.**

**☜توِّجت بالوسام العراقي الدولي عن قصة "أفيون مغشوش" لتكون الفائزة الأولى دوليا في المسابقة السنوية للقصة القصيرة2020.**

**☜فائزة بالمرتبة الثانية وطنيا في المسابقة الوطنية الجزائرية للخاطرة سنة 2020.**

**☜متوجة بالدرع العراقي سنة 2020 صنف القصة القصيرة و الحائزة على المرتبة الثانية عالميا.**

**☜فائزة بالمرتبة الثالثة في ملتقى الهايكو والومضة بتونس سنة 2019 صنف القصة القصيرة.**

**☜متوجة بالمرتبة الأولى دوليا في دورة القصة القصيرة العربية المقامة بالمغرب 2020.**

☜فائزة بالمرتبة الأولى بالمسابقة الولائية للقصة القصيرة سنة 2019.

☜متوجة بدرع ملتقى إبن النيل الأدبي المقام بمصر سنة 2019 صنف النثر الشاعر.

☜كاتبة بطاقات قراءة ومراجعات لمختلف الكتب وفائزة بالمرتبة الأولى ولائيا عن بطاقة قراءة لكتاب العربي الأخير لنادي القلم .

☜تم اختياري كأحسن مثال للفتاة السطايفية الناجحة عام 2020.

☜لاعبة كرة سلة وقائدة فريق الولاية اناث المتوج بالبطولة الولائية لثلاث مرات.

☜مؤطرة لتظاهرة إقرأ الولائية كأصغر عضو في لجنة التحكيم مر على التظاهرة

☜منشطة و هاوية تنشيط اذاعي وقد كُرمت من طرف مدير الشباب و الرياضة لولاية سطيف (الجزائر) بهذا المجال.

☜أول كاتبة جزائرية تنشر في ركن ملهمون بجريدة رحاب الجزائر الإلكترونية.

☜قصص قصيرة منشورة في مجلات وجرائد عربية ووطنية (مجلة العرب الثقافية ، مجلة الهيكل العراقية ، جريدة المراقب العراقي، جريدة الموعد اليومي ، جريدة الحوار ، جريدة كواليس ، مجلة اقلام الإلكترونية ...

☜مشاركة في أكثر من 130 تظاهرة ثقافية بمختلف ولايات الوطن.

☜ممثلة الجزائر الوحيدة في دورة القصة القصيرة العربية المقامة بالمغرب والفائزة بها عن نص "حنين معتقل". ☜رسامة هاوية ومشاركة في عديد المعارض الولائية.

# الفائزة : سارة بريز

## متلازمة داون ... متلازمة الحب

عقارب ساعتي الزجاجية متوقفة لم يكن للساعة أي أهمية عندي فقد غدى ليلي نهاري ونهاري ليل أسود ، فالزمن بالنسبة لي ميت منذ أمد . ها انا ذا جالس مذ مايقارب الساعتين قرابة تلفاز رمادي عتيق ،هذا التلفاز العجوز هو أنيس وحدتي ورفيق يومي الدائم أستمع لهذه الموسقى والأناشيد الصاخبة مع أنني لا أفهم ما يقولون لكن هذه الدندنات حقا تشعرني بالسعادة و تضفي لكتاب وحدتي عناوين جديدة من الامل والمواساة . مر الوقت بلمح البصر لقد اصابتني نوبة ملل من الجلوس هنا ، سبحت قدماي ودفعتهما نحو الارضية ثم ألقيت بجسدي حتى أنزل من الأريكة زحفت على قدماي متوجها نحو المطبخ فإذا بأمي هناك منهمكة في إعداد الفطور إنها تتعب حقا ، ثم جلت بعينيا في أرجاء المنزل فإذا بي ألمح الباب مفتوح يبدو ان امي نسيت اغلاقه.

ارتسمت على شفاتاي إبتسامة صغيرة وبريئة وماكرة في نفس الوقت حسنا ، لا ضير بأن أقوم بجولة خارج المنزل دون ان تلحظ امي بالطبع فهي لن تسمح لي بالخروج بمفردي اطلاقا..

_حسنا ،،

نسيت ان أعرفكم بنفسي أنا أصغر إخوتي، أبلغ من العمر سبعة أزهار فتية في حديقة جرداء منسية، وأنا مصاب بمرض يدعى في القاموس الطبي بمتلازمة داون ،أما في قاموس مجتمعنا يقال عني بأنني معاق فأنا لا أجيد الكلام كما أني لا أقوى على المشي أيضا..

زحفت نحو الباب وما هي الا ثواني وها انا خارج المنزل ،رفعت رأسي نحو السماء أتأملها و أخذت شهيقا عميقا دون زفير ،أملء رئتاي خشية أن ينفذ الاوكسجين ،ثم أقتاد إلى زنزانتي مرة أخرى كالسجين.

واصلت الزحف ونسمات الهواء الباردة تداعب خصلات شعري البندقي إلى ان وصلت الى ملعب الحي و صوت لعب الاطفال يعم المكان ،أحسست بإرتفاع هرمون السعادة واعتلت وجهي ضحكة حماسية " يا إلاهي فأنا احب الكرة جدا بل أعشقها ، لدي واحدة مثلها في المنزل ألعب بها مع (سنو ) انها قطتي الوديعة ، صحيح أنني لا أستطيع اللعب فأنا بالكاد أستطيع الوقوف ولا افقه شيئا في قواعد اللعبة لكنني احبها ... احبها وفقط.

_اقتربت أكثر وجلست أشاهد المباراة عن كثب انها مباراة حماسية و صوت ارتطام الكرة بين ارجلهم جعلني في قمة سعادتي ف رحت أصفق وأصرخ ، نعم فأنا أعبر عن مدى غبطتي بالصراخ والهتاف فأنا لا أتكلم .. أنسيتم ،،وفجأة دنا مني أحد الأولاد وقال بصوت أشبه بالصراخ :" أيها الفتى المنغولي لقد أزعجتنا بصوت صراخك ، هيا عد الى بيتك فورا "،

لقد أفزعني صوته فقد باغتني على غفلة مني فتوقفت عن الصراخ والتصفيق و رحت أحدق به ، صراحة انا لم أنزعج من كلامه لأنني ببساطة لم افهم ما قاله أصلا ،فعقلي يعجز عن تفسير الرسائل الصوتية كلا انا لست مجنونا.

في صمت أعطيته ظهري وأبتعدت عنهم ومشيت في الطريق المجاور

عفوااا ، فأنا أقصد أنني زحفت انا وكومة أوجاعي في الطريق المجاور ،فإن كانت قدماي عاجزة عن حملي فكيف يقوى الاخرون على تحملي،

زحفت و زحفت و معظم أعضاء جسمي الصغيرة إمتلئت بالخدوش لكن لم أبالي إلى ان وصلت الى احد الاروقة الخالية بالحي جلست بجانب الحائط واتكأت عليه . المكان خالي هنا لا يوجد أحد ، حسنا لقد بقينا وحدنا الآن اذا سأحدثكم عني وعن حياتي وعن بعض امنياتي كلا بل امنيتي الوحيدة ، انا فقط أريد ان أصبح كأي طفل في مثل سني أمشي

أتكلم ألعب أفهم اريد فقط ان ارتدي مئزرا ازرق ومحفظة واذهب للمدرسة وألعب الكرة....

أريد أريد فقط ان تبتسم امي وان لا تذرف دموع حزنها على حالي ، انا لا أرجو شفقة من أحد فأنا خلق الله مثلكم مثلكم تماما يا بشر.

أنا لست بلا عقل ولا ناقص عقل انا فقط لي عالمي الخاص عالم يحتويني انا وكل أوجاعي عالم رأى الله فيه الخير لي على عالمكم يا بشر.

يقولون لأمي أنني مسكين فأنا معاق ، نعم نحن نعيش في مجتمع خلت منه الانسانية والاخلاق ، لا تشفقوا علي يا عالم بل اشفقوا على انفسكم وأخشوا يوم تلتف الساق بالساق.

حسنا حسنا يكفي دراما الآن ، لقد تكلمت كثيرا لا بأس علي العودة الى المنزل الآن لابد أن أمي قد أخذ منها القلق كل مأخذ ، لكن لحظة..

فانا لا أعرف طريق العودة لم يسبق لي الخروج وحدي تبا...

إلتفت كثيرا في المكان بدون جدوى ،فإذى بي ألمح شيئا في الجوار زحفت ببطئ نحوه وممدت يدي كي ألتطقه ، إنها دمية جميلة لها شعر ذهبي كخيوط أشعة الشمس التي تتسلل الى غرفتي كل صباح و شفاتاها القرمزية بلون الدم القاني ، يبدو انها ضائعة مثلي تماما ، حملتها بين يديا الصغيرتين وبقيت أتأملها برهة من الزمن بعدها حاولت ان اجعلها تفق على قدميها لكنها تهاوت نحو الارض ، رجعت بي ذاكرتي يوم كانت أمي

تحاول ان تساعدني على المشي وما إن كانت تترك يدي حتى أسقط ، لم تمل من تدريبي كما أني لم أمل من الاخفاق مرارا وتكرارا .رفعت الدمية بكلتا يديا نحو الاعلى وناظرتها طويلا إنها لا تستطيع الوقوف ولا المشي مثلي تماما ولا تتكلم أيضا يبدو انهم تخلو عنها.

مهلا مهلا انتظرو !!

_أ معقول ؟؟ أمعقول ان اكون انا أيضا مجرد دمية بشرية ؟؟

_أمعقول ، حقا هل انا دمية !!

لا تكذبوا علي أصدقوني القول هل فعلا انا دمية . نحن متشابهان بكل شيء

...ضيااااع...

طأطأت رأسي نحو الارض والعبرات تخنقني وعيناي العسلية إمتلئت بدموع ساخنة ، دموع بريئة حجبت عني الرؤية وبللت صفاء وجهي الصغير ، وأخذت الدمية وعانقتها بشدة حتى كادت تخترق أضلعي و رحت أردد في نفسي وانا أشهق " انا دمية ، انا دمية."

صرخة مكتومة تليها صرخات بين اضلعي اسيرة لا تقوى حتى على الافلات والتعبير عن نفسها الضريرة ،

أخرجي عليك اللعنة اثبتي للعالم اني انسان لي قلب ينبض وشريان ،

واثبتي وجودك للبشر ،،يا عالم لي روح واحساس ،

لما القسوة يا قلوب الحجر ، انا انا سأطالب بالقصاص ،
سأقتص منكم وكلكم يوم المحشر سأقتص لروحي و برائتي سأقتص على كل من على كرامتي داس ،
سأقتص لدموع امي ،ارحموها وارحموني يا عالم ، يرحمكم رب الناس..
_صمت مطبق في المكان...
مكثت دقائق ليست بقليلة وانا على نفس الحال ثم عدت للجلوس بمكاني واجلست الدمية بجانبي و هنيهات حتى توقفت عن البكاء وشردت في العدم في اللاشيء ، وفجأة قطع علي هذا الشرود صوت نباح الكلاب ليس ببعيد عني و ها قد آلت الشمس على الغروب و بدأ الظلام يفرش بساطه في الارجاء ،
لا تقلقوا علي فأنا لست خائف. بصراحة انا لا اعلم مامعنى الخوف أصلا.
_أحكمت قبضتي على الدمية وبقينا نتحدث مع بعض بكلام لا يسمعه سوانا ، بقينا على هذه الحال لا احد هنا سوى بعض القطط المتشردة التي تموء باستمرار تحت عمود الكهرباء يبدو انها جائعة مثلي تماما

## متلازمة داون.. متلازمة الحب
## -الجزء 2-

على عتبات الالم يولد الأمل بثوب جديد.. وعلى عتبات قلبي تتعالى أصوات المآذن بأن ساعة الحب قد حانت " الصلاة خير من النوم."

بلمسة حانية منها استيقظ على إيقاعات صوتها العذب كسنفونية الحب، ناعم كنعومة ريش اليمام فيتسلل النعاس خفية هاربا من الغرفة تاركا خلفه حفنة تثاؤبات أثقلت شفاتاي.

وككل يوم أشد الخطى مع أبي لمسجد الحي،الشارع خال تماما من أي كائن لا تُسمع سوى أصوات نعالنا ،حقا شيء مؤسف.

أشرقت شمس يوم جديد و حبات ضوءها تتلؤلؤ كحبات الذهب المنثورة بعد ليلة شتوية ماطرة.

حسنا.. لابد أنكم تذكرتموني أنا أنس من ذوي الهمم العالية والإبتسامة الصافية ، عمري الآن ستة عشر خريفا ،

أعلم.. أبدو كطفل في العاشرة من عمره ،جسمي لم يكبر لم يزاول سنه ،يبدو ان هرمون النمو قد أضاع طريقه في جسمي أو أنهم استبدلوا اللقاح عند ولادتي بجرعة من عقار كونان هههه..

لكـن لا بـأس هنـاك خرافـة تقـول أن أكثـر النـاس حظـا هـم مـن بـدت أجسادهم أصغر من سنهم ، يبدو أنني محظوظ فعلا.

صـراحة حتـى عقلـي لم يكـبر كـثيرا لكـنني أسـتطيع اسـتعاب كـل مـا يحـدث حولي . ولكن و علـى غـرار هـذا فأنـا متفـاءل جـدا ، فقـد أصـبحت و أخـيرا أعتمـد علـى قـدماي دون مسـاعدة ودون اللجـوء إلى ذلـك الكرسـي المتحـرك الـذي لا يـروقني ، كـذلك لسـاني فقـد استرسـل العـزف بـالكلام بعـدما طالـت معركتـه داخـل ثغـري يصـارع الحـروف البكمـاء ، فقـط تلـك التأتـأة البسيطة التي تعيقني .. خجلت الحروف فاختبئت خلف عتبات لساني..

حسـنا لقـد تـاخرت عـن المدرسـه عليـا الـذهاب الآن ، لـدي الكـثير لأخبركم به.

كواهل شباط الآخـيرة كانـت متعبـة جـدا قضـيت أيامـا طويلـة في التـدريب علـى مسـرحية رفقـة أصـدقائي الـداون الـتي سـنقدمها السـبت المقبـل المصـادف للواحـد و العشـرين مـن آذار في الجامعـة المركزيـة . أعلـم أن معظمكم لا يدري بالمناسـبة ، حسـنا إنـه اليـوم العـالمي لمتلازمـة داون سـنتروم حيـث عمـدت مؤسسـتنا المتواضـعة بالتنسـيق مـع عـدة جمعيـات علـى إحيـاء هـذه المناسـبة في الجامعـة المركزيـة بمشـاركة كـل أطفـال الـداون و سيحضـر الحفل أساتذة و طلبة و ناشطون جمعويون و الأهالي و غيرهم كثير.

أنا مثوثر جدا فبالإضافة الى المسرحية تم إختياري من بين كل زملائي لإلقاء الخطاب التوعوي والتضامني ربما لأنني أكبرهم سنا أو كما قالت معلمتي أنني ذكي جدا حسب اعتقادها.

أما الأمر المفرح في ذلك هو أنه تم إختيار لوحاتي البسيطة لأشارك بها في فرع الأشغال لعرض مواهب أطفال الداون.

أتى اليوم الموعود ، أنا و السماء و كل الكون نتهلل فرحا.

أتى اليوم الموعود ، و سأبني من عثراتي و رفاتي وكل من قال لا تستطيع صرحا.

أتى اليوم الموعود، سأجعلك فخورة يا أمي و لن أزيد جراحك جرحا.

في إحدى القاعات الخاصة قمنا بإرتداء الأزياء الخاصة بالمسرحية كل يرتدي الزي الملاءم بالدور الذي سيتقمصه ، كان زيي تندرج ألوانه ضمن الاسود و البني الغامق ،سروال جينز ضيق قليلا و يعتليه سترة جلدية لامعة ذات سواد قاتم و يلتحف شعري داخل قبعة لرعاة البقر ، كان شكلي مضحكا نوعا ما بتلك القبعة ، كأنني خرجت من فيلم هوليود من القرن الثامن عشر.

تقمصت دور راعي البقر في مسرحية الفرسان الخمسة و الأميرة ، كانت المسرحية جميلة بالنسبة لي لا أدري إن أعجب بها الجمهور لكنني واثق أن أمي فخورة بي جدا...

إنتهى العرض وحان الآن موعد إلقاء الخطاب ، يا إلاهي دقات قلبي تتسارع بين الحين والآخر و بخطوات متباطئة و مترددة تقدمت نحو المنبر و اعتلى صوت التصفيق داخل القاعة ، انتابني خوف غريب و رعشة في أطرافي ، يا إلاهي استغرقت أكثر من أسبوع أحاول فيها تخزين كلمات هذا الخطاب اللعين في ذاكرتي الصغيرة ، وقفت و طول المايكروفون يناسب طولي القزم.

كل سهام العيون مصوبة نحوي كلهم شخصيات مرموقة و طبقة مثقفة وانا ماذا .... لا شيء.

مما زاد توتري و اضطرابي ، جلت بناظري حولهم واحدا تلو الآخر حتى لمحتها ... ابتسمت هي .. فرسمت واحدة لي على وجهي ، ليتبدد الخوف كما يتبدد السراب ، لم أكن أود أن ألمح من الجموع سوى أمي.

تنهدت .. أخرجت زفيرا يبدو عليه التوتر عانقت يداي المايكروفون و رحت أتكلم في تلعثم و ارتباك:

دال ألف وان نون ( داون)

الدال : دموع القمر

والألف: أبي و أمي

الواو : وحدة العمر

والنون: نوبة في القلب تسري.

**يا حشود البشر..**

**نحن منكم و إليكم ننتمي..**

**نحن الوجه الغائب للإنسانية..**

**نحن كتلة البراءة المنسية..**

**تنفست بقوة، بلعت ريقي ، و هذه التأتأة و التلعثم يزيدان من حرارة جسمي و كنت بين الحين والآخر أتوقف و آخذ نفسا عميقا ، تابعت قائلا :**

**أنا متلازمة داون و لست معاقا ، المعاق هو من لا يقدر و أنا أقدر.**

**أنا متلازمة داون و لن يكلفك شيئا ان تنظر لي كسائر البشر.**

**أنا متلازمة داون متى يأتي ذلك اليوم الذي نعامل كبشر لا معاقين نهمش و نحتقر.**

**طفل الداون ليس مختلفا، ليس منغوليا، ليس مجنونا..**

**و.....**

**انربط لساني و إعتلت وجهي حمرة خفيفة ، يا إلاهي لقد نسيت تتمة الخطاب ، توترت كثيرا لقد هربت الحروف مخفية عجزها بعد أن علقت**

الكلمات في حلقي، و غصة في حنجرتي أصبحت أسير الصمت و اتنقل بعينين خائفتين بينهم.
الكل ينظر إلي ، الكل ينتظر يا إلاهي...

و ببراءة طفولية قلت : لقد نسيت بقية الخطاب.

انفجر الحضور ضاحكا و القهقهة تعلو المكان و رحت أضحك أنا أيضا ... إنها طرفة مضحكة ... كان الجميع يضحك معاداها هي كانت تبتسم و تؤشر لي برأسها كأنها تقول تابع يا بني أنت تستطيع ، حاولت استدراك الموقف و توقفت عن الضحك ، وأطبق الصمت لساني والأفكار تجاريني و ماهي هي إلا ثواني حتى نطقت بنبرة متلعثمة قليلا :
تحليل الدي إن أي الذي قام به الطبيب عند ولادتي أثبت أن هناك خلل في المنظومة الصبغية أو بما يعرف بالكروموسوم الزائد ، كتب الطبيب في تقريره أنني من متلازمة داون سنتروم لكن بدرجة بسيطة ، وكتب أيضا ملاحظة أدناه " هو إنسان أيضا."
نعم فأنا إنسان، فعلا فهذا الكروموسوم الزائد الذي أحمله لا يعيبني بل جعلني متميزا عن باقي الاطفال ، فالبحر واحد والسمك ألوان.

كانت نبرة صوتي تعلو حينا و تنخفض حينا آخر ،جهازي التنفسي لا يسمح لي باسترسال الكلام مباشرة ، بين ثنايا حنجرتي تتصادم الكلمات و حبيبات الأكسجين مما يؤدي إلى انقطاع صوتي المتكرر.

واصلت قائلا : كبرت و أخذتني أمي إلى المدرسة العادية ، أرادت لي أن أدرس كالبقية لم تنتظر مني أن أصبح طبيبا أو مهندسا ، كانت فقط تريد إخراجي من قوقعة الوحدة التي تحتويني ، لكنهم رفضوا إدماجي و قالوا لها أنني.....

حسنا بعض الكلمات لا يجب أن تترجم يجب أن تظل مجرد أفكار حتى لا يساء فهمها.

لم تيأس أمي و أخذتني إلى ما يسمى مؤسسة لذوي الاحتياجات الخاصة نعم ، وكذلك مدارس للتخاطب و الادراك و جلسات التقوية.

و الجميل في الأمر أنني إلتقيت أصدقاء كثر مثلي يشبهونني ، يقال أنه يخلق من الشبه اربعين ، لكن أنا لي أشباه كثر في هذا المكان و في كل بقاع العالم، ربما أكثر من أربعين أو ربما مئة ، حسنا أنا لا أجيد العد كثيرا لكن يبدو ذلك ... فأنا لا أحب الرياضيات.

و هذا الميلان في العين يشبه ذلك الموجود في أهالي منغوليا يزيدني جمالا و براءة كما تقول أمي.

نعم أنا إنسان و أحب الحياة و لي أهداف و أحلام أيضا . كل تلك اللوحات التي رأيتموها في فرع المواهب أنا رسمتها ، أخبرتني أمي أنني رسام بارع و أني سأصبح يوما ما مثل بيكاسو ، أظن أن أمي تبالغ كثيرا فلوحاتي بسيطة ، لست فنان أنا فقط عاشق الرسم بإمتياز . امتطي صهوة قلمي و ارسم الامل على كف يدي الزهري ، وارسم كل ما لم أستطع قوله، و لم أستطع كتمه، و لم أستطع نسيانه ، و لم أستطع تذكره ، كل ما في صدري أرسمه بحبر جاف و يلونه المارة بحبر السخرية.

لقد صنعت من الألوان عالم خاصا بي ثملت شغفا بها.

حسنا سأصدقكم القول أنا لا يهمني أن أنتمي إلى عالمكم فقد صنعت واحدا لي أحتويه و يحتويني ،

حسنا .. أنا آسف معلمتي لأنني نسيت الخطاب أنا فقط أتمنى أن لا تعاقبيني بمسائل الرياضيات تلك التي لا أحبها.

ضحك الجميع و راحوا يصفقون بحرارة ، وقف أحدهم وقال بصوت عال: " إنه أعجوبة ، نابغة متخفي خلف جسد الداون "

إعتلت وجهي إبتسامة بيضاء ، يا إلاهي حتى معلمتي تصفق يبدو أنها ليست غاضبة.

إنتهت الحفلة و هم أغلب الحضور بالرحيل و فجأة دنا مني أحد الرجال يرتدي بزة رسمية و يتوسط يده محفظة سوداء.

الرجل: أحسنت يا فتى كنت رائعا.

_إبتسمت بعفوية: نادني بإسمي سيدي.

الرجل : حسنا و ما اسمك.

_أنس اسمي أنس.

الرجل بابتسامة دافئة: حسنا يا أنس ، سمعت أنك رسام بارع ، هلا رسمت لي شيئا أحتفظ به كذكرى منك.

_ببراءة طفولية : حسنا.

فتح محفظته و ناولني ورقة بيضاء و قلم ، استندت على إحدى الطاولات و ماهي إلا دقائق حتى فرغت من الرسم.

_أنهيت سيدي ، تفضل.

الرجل بابتسامة لم تفارق شفتاه : و ما هذا مالذي رسمته يا أنس ؟

_السعادة.

انعقدت حاجباه باستغراب و الابتسامه لم تفارقه: السعادة !!! إنه طائر ، أ تحب الطيور لهذه الدرجة ؟

_كلا ، أقصد نعم أحبها ، ولكن هذا ليس طائرا عاديا ، أخبرتني أمي أنا السعادة هي الجنة ، و أنني سأصير يوما طيرا في الجنة ... وهذا الطائر هو أنا.

# عالم من ورق

رفست الباب بقوة ، اهتزت جدران المنزل الطيني كادت تنهار لشدة إهترائها ، دخلت تجر خطواتها و تجر خيباتها ، و تحمل بين كفيها حلما مات في المنتصف ، كفنته بدموعها ، واتخذت له من قلبها نعشا ، حلما احتضنته منذ الولادة ، و صنعت من أوراقها له عشا ، كبر الحلم و صار له جناحان ،خرج ليحلق في النور لكنه اصطدم برصاصة البشر .

فتحت باب غرفتها ،لم تكثرت حتى لمناداة والدتها و ارتمت كرصاصة عشوائية على سريرها ، محاولة كتم تلك الدموع الهاربة من سجن العيون ،، عند حافة القلب تماما عند الشريان تتدفق مشاعر الخيبة بطعم الخذلان حتى لساني أقرفه طعمها فما بالك بمتجرعها.

حسنا إنها أنا ربما ، أو ربما فقط نمتلك نفس البصمة ، لا يهم من تكون فمنذ أكثر من عام و خمسة أشهر من حياتها قضتها تتنقل من صفحه الى صفحه و تلطخها بحبر الأفكار المنسكب على قارعة أحلامها ، و تسقيها بما فاض من مشاعرها.

وأخيراً .. أنجبت روايتها البكر ، يجب أن تخرج للعلن لا يجوز أن تبقى بلا هوية.

بعد مدة رأت إعلان لمسابقة في الجريده في إحدى دور النشر البعيدة ، قررت خوض غمار هذه المنافسة ، جهزت روايتها و إلى دار النشر كانت

وجهتها ،ناولتهم الرواية و بعض المعلومات الخاصة ،أخبروها أن النتائج بعد شهر ... استقلت القطار عائدة إلى قريتها و ترسم طوق تتويجها في مخيلتها.

مر الشهر ، و إزدادت من عمرها دهرا ، بأعصاب تالفة ،تنتظر القائمة على أحر من الجمر ، لكن الجمر أحرقها .. تقرأ الاسم تلو الآخر ولا وجود بينهم لإسمها.

أغمضت عينيها ولازالت منتشية على السرير ، تتجول في ركام أحلام قطفت قبل أن تزهر ، غرقت قبل أن تبحر ، فاضت قبل أن تمطر ، كقنبلة موقوتة انتظرت اللحظة لتفجر آخر ذرة أمل بقيت تحتضنها.

رفعت جسمها المتثاقل نحو مكتبها بجنون مزقت دفاترها و تبعثرت الاوراق مترنحة على الأرضية ما عادت صالحة للكتابة ، و كسرت آخر أقلامها ، يا سادة لقد اعتزلت عالم الكتابة.

هي: " سأهجر حروفي الى اللامكان .. أريد فقط الانتشاء و الهذيان."

_حسنا لا بأس ، إهدئي..

لقد اعتادت ممحاتها على العبور على كل شيء سيء في كتاباتها يقترفه قلمها ، اعتادت دوما تغطية أخطاءه و هو لم يعلن توبته بعد.

هي:" لماذا لا تعبر الآن على هذا الجزء السيء من ذاكرتي ،تبا"

_صدقيني صغيرتي أنا أيضا لا أعلم.

ناطحت بخفة جبهتها زجاج النافذة تنظر إلى العدم إلى اللاشيء ، أثلجت في العالم الخارجي ،أسقف البيوت مرشوشة برذاذ الثلوج گأوراق ناصعة تنتظر من يخلصها من هذا البياض ، يا ليتها تثلج صدرها أمنية زاولتها منذ الصغر ، زفرت بقوة ثم اسدلت ستار النافذة و انسدلت أحلامها معه ، ونام القمر على الشباك بعدما أرهقه زفيرها.

وقفت وسط الغرفة و رائحة القهوة الفرنسية تتدفق الى احشائها باعثة شبح الرجوع الى الكتابة ، إنها تلعب بخلايا عقلها كما يلعب الريح بأوراق خريف يتيمة . و رواية حالم فوق المدفئة هناك..

فجأة تذكرت في نفسها نصيحة أستاذة الآداب عندما قالت لها ( إن أردتي أن تكوني كاتبة جيدة , فعليك أن تكوني قارئة جيدة ) .

حسنا يبدو أنها لم تكن قارئة جيدة.

هي :

" لم أقرأ سوى بعض كتيبات جبران خليل جبران و بعض روايات أدهم الشرقاوي ، و دوستويفسكي ،احمد خالد توفيق و و بعضهم لا أذكر اسمهم .. لكنني هاوية محبة ، لا بل عاشقة للكتابة ألا يكفي الحب وحده ؟

_أنا أيضا مثلك لا تسأليني.

أخذت مسكنات من تحت الوسادة لتوقف هذا الضجيج و العبث الذي يسكنها ، ارتمت مرة أخرى على سريرها و سرعان ما خطفتها براثن

النـوم الى العـالم الآخـر مـن الكـون حيـث الحلـم يرتـدي لبـاس الحقيقـة ،و كل مستحيل ممكن .

بين الضباب والعـدم ، وجـدت نفسـها .. لا وجهـة لهـا ،تائهـة حتـى في الحلـم ، بجسـم مرتجـف و بخطـوات أكثـر ارتجافـا تجـر قـدميها لعلـها تجـد المخـرج ، و فجـأة .. ظهـرت أمامهـا عجـوز سـبعينية مبتـورة القـدم ، ارتعبـت لكـن اسـتجمعت مـا تبقـى مـن قوتهـا حتـى تسـئلها لعلـها تسـتنجد، لكـن لم تعبرهـا كأنهـا صـم بكـم ، ثـم اقتربـت منهـا العجـوز و ناولتهـا قلـم ، و تمتمـت لهـا بكلمـات غريبـة .. أظـن أنهـا لم تفهـم ، أعطتهـا العجـوز ظهرهـا ثم قالت : ايـاك .. ايـاك ، فحتـى الصـخور يفتتهـا النـدم ... ثـم اختفـت فجـأة كما ظهرت فجأة كسراب يعانق ضمئان في صحرا.

تقـدمت بخطـوات خائفـة متباطئـة حتـى داسـت علـى شـيء مـا ، وقعـت في اللاشـيء وقعـت في الهاويـة ،في المجهـول لا تـدري حتـى أيـن هـي ، و صـراخها يـدوي .... ثـم انقطـع الحلـم يبـدو أن عقلـها مخـرج سـيء لا يجيـد تتمت المشاهد.

اسـتيقظت في فـزع لتجـد رنـين الهـاتف يضـج في الغرفـة زفـرت في ملـل و مدت يدها يدها بتكاسل نحـوه ، لقـد انطفـىء تبـا لهـذا الهـاتف اللعـين ،لكـن سرعان مـا عـاد جرسـه يـدق مجـددا ومـا أن لمحـت المتصـل دقـت كـل أجـراس قلبها معه .فزت من مكانها بسرعة خاطفة.

هي : ألو

المتصل : مرحبا ، أنت الآنسة  مارية صاحبة رواية عالم من ورق .

هي : نعم أنا

المتصل : ألف مبروك لقد فزت معنا في مسابقة الرواية و سقط اسمك سهوا من القائمة نعتذر منك . و مبارك فوزك مرة أخرى.

هي..... :

انقطع الاتصال ، ضحكت بهستيريا كمجنون التقط قطعة حلوة من البائع وهرب . راحت تصرخ منادية أمها و تركض دفت باب غرفتها بقوة كالعادة.

تبا لها سوف تدفننا يوما ما تحت ركام هذا البيت المهترئ.

حسنا لا بأس فأنا سعيدة جدا لأجلها أو بالأحرى لاجل نفسي.

فأنا و هي واحد . أنا أكتب السيناريو في الواقع ، وهي تمثله على مسرح أوراقي

# المحكومان بالاعدام

الساعة الآن : العاشرة صباحا بالتوقيت المحلي ، وألف نبضة و نبضة بتوقيت قلبي.

اقتادوني إلى المحكمة مكبل بالاصفاد ،دخلت القاعة فرأيت من دون كل البشر أمي شاحب وجهها كشحوب ميت أدخلوه نعشه ،ترمقني بنظرات عتاب، حب، شوق، وجع خليط من المشاعر نغص قلبي ،سعت جاهدة كتم تلك الدمعة الهاربة من سجن العيون لكن دون جدوى ، وبجانبها أبي مقعد على كرسيه المتحرك والشيب قد غزاه و ملامح البؤس على محياه رمقني هو الآخر بنظرة لم أستطع فك شفرتها ثم طأطأ رأسه نحو الأرض لا أدري أكان ذلك بؤسا أم خجلا من أنني أحمل اسمه.

جلست منتظرا إلى أي جحيم سأهوي إليه الليلة ، زفرت آهاات من قلب ارتوى سقما ، إلتفت للخلف كل معارفي هنا كل من تعرفت عليهم خلال حياتي البائسة هنا حاضرون لا أدري إن كان حبا او شماتة في ، حتى رفيق عمري هنا بجانبي جالس يرثي حاله كأنه في عالم غير الذي نحن فيه.

وفجأة ودون سابق إنذار دخل القاضي و حاشيته انتفض قلبي بقوة و رحت اتتبع كل خطوة يخطوها و أنفاسي تكاد تفارق روحي ، جلس

على منصة الحكم وانا اختلس النظر إليه من خلف القضبان ، مصيري الآن مرهون بهذا الطيف الأسود.

وماهي الا لحظات معدودة حتى دقت مطرقة القاضي معلنة بذلك بدأ الجلسة وكل طبول الحرب تقرع بداخلي.

صمت مطبق في المكان ،اختبئت كل الحروف خوفا ، لا تسمع سوى صوت الأنفاس المتمردة ،

رباااه هذا السكون يذبحني ،انه الهدوء الذي يسبق العاصفة.

شرع القاضي يتكلم و يتكلم بالقوانين والدستور ومصطلحات غريبة وانا كالتائه بينهم و كأنني احتاج لترجمة لغتي ،

لا استطيع التحمل أكثر ولحظة الفصل قد دقت و دقت كل اجراس قلبي معها ، وتلاشت قواي لا طاقة لي ، حتى أذناي أضحت عاجزة عن استقطاب ذبذباته الصوتية كأن ملك الموت يعانقني.

بعيون متفحصة بقيت اترقب شفاتاه كصقر يحوم حول فريسته لينقض عليها.

القاضي : اصدار الحكم . وقوف.

لا اظن أن قدماي قادرة على حملي سيادة القاضي ، جاهدت نفسي حتى وقفت بجسمي النحيف و أسندت يدي على القضبان.

نفـذ الصـبر و امتلئـت العيـون بصـراخ و ضـجيج لفـؤاد مكسـور و جسـم محطم.

دقت مطرقته مرة أخرى لإصدار الحكم

القاضـي بصـوت جهـوري : اسـتنادا للجلسـات السـابقة والأدلـة المقدمـة مـن النيابة العامة و الشهود الذين أدلوا بشهادتهم.

حكمـت المحكمـة حضـوريا علـى المـتهمين سـالم .ع و احمـد .خ بتهمـة اسـتغلال مناصـبهما السـامية في الدولـة في تسـريب اسـرار خاصـة تمـس بالجهـاز الأمـني للدولـة لجماعـات مجهولـة حكمـت عليهمـا بالاعـدام شـنقا حتـى المـوت ، وسـيتم تنفيـذ الحكـم خـلال عشـرة أيـام بتـاريخ الخـامس مـن حزيـران. وقعـت كلمتـه علـى مسـامعي كـالخنجر الـذي انغـرز في قلـبي و طعنـه سـبعون طعنـه ، اصـفر وجهـي كـأن الـروح فارقـت هـذا الجسـد قبـل الموعـد لـولا أن تلـك الاهتـزازات العنيفـة بيسـار صـدري لازت تـنبيء بوجـود حيـاة لا زلـت تقطنـه ، خـانتني قـدماي و ارتميـت جاثيـا علـى ركـبتي والصـدمة أجمـتني و اختنقـت مـن فـرط مـا يفـيض مـن مقلتـاي ، نعـم الرجال يبكون يبكون حتى الثمالة.

أما احمـد لم يتمالـك نفسـه وراح يصـرخ و يصـرخ بهيسـتيريا كـاد يفقـد فيهـا وعيه.

احمد بصوت مندفع : انـا بريييـئ انـا بريييـئ سـيادة قاضـي لمـا الاعـدام هـذا ظلم ظلم ، تكلم أيها المحامي ..... اتركووني.

القاضي ويطرق للمرة الأخيرة بمطرقته : رفعت الجلسه.

رفعت الجلسه و رفعت معها أحلامي

رفعت ..و كل نبضة من قلبي أعد بها أيامي

رفعت ..و سترفع روحي بكل محاسني و مآثمي

رفعت و رفعت و رفعت

و صراخها كالقرط بأذني علقت.

تقدم الينا الحراس ليقتادونا كالقطيع الى المذبحة يوم العيد،

إلتفت نحوها لأودعهـا لآخـر مـرة و قـد كانـت القطـرة الـتي أفاضـت الكـأس لا بـل حطمتـه كليـا كـان جسـدها يهتـز و يرتجـف ومـا أن تقابلـت العيـون حتى إنهالت أرضا في بكاء هيستيري

امـاه لا تـرثيني ، امـاه دموعـك أغلـى مـن وتـيني ، امـااه غـدروني فـإن مـت فلا تنسيني ، ذاهب انا الى قبري أرجوك زوريني ، بدعاءك

أماه دثريني ، وداعا أماه أحبك و أحبيني.

دفني الحارس بقوة لأواصل السير : هيا هيا.

بعض الرحيل نختاره و بعضه نجبر عليه فيأتي بثقل الجبال نمارسه بخطى مثاقلة وكأننا نجر الكون بأكمله خلفنا فنمض قليلا و نلتفت للوراء قليلا ، لان في الخلف أحلام، أماني ، ارواح معلقة بها قلوبنا.

واصلنا المسير في صمت قاتل فقط أفكاري من تحدث الضجة ،الى غاية وصولنا إلى زنزانة انفرادية عفنة ظلمتها كظلام الليل و بضيق القبر ، ادخلوا أحمد الذي سلم لهم كل جسده ليحركوه كبيدق في طاولة شطرنج خاسرة ،وبعدها دفني أحدهم حتى أسقط أرضا ثم أقفلوا الباب ورحلوا رمونا كالبضائع في السجون و سندفن كالجيفة في القبور.

عجزت حتى عن النهوض ماتت كل خلايا جسمي النحيف وتملكني صداع رهيب ،احكمت القبض على رأسي الأمر استغرق وقتا طويلا قبل أن استفيق من وقع الصدمة ،صرنا غرابلء و أقدارنا أغرب.

بعدها ناظرت أحمد الذي كان جالس في زاوية الزنزانة و يغلفنا صمت أخرق

بقينا على هذا النحو مدة من الزمن ربما ساعة أو ساعات او يوم لا أدري كم لبثنا

حتى كسر أحمد هذا الهدوء ،عفوا أقصد ضجيج العقول الذي يعترينا.

احمد: سالم

_بنظرة باهتة إلتفت نحوه : نعم

احمد بنبرة حارقة : سنموت يا صديقي.

بقيت أنظر إليه بصمت و كأن كل حواسي قد أعلنت الحداد على نفسها.

ثم تابع بصوت مبحوح : سنموت بسبب غبائنا كيف خدعونا ، كيف تم استبدال الملفات واختفوا كأن الارض انشقت وابلعتهم ، من سيصدقنا من سينقذنا.

وراح يبكي بحرقة و يضرب قبضة يده بالجدار ،انتفضت بخرعة من مكاني و حاولت إيقافه

_احمد توقف توقف ماذا تفعل اهدأ .اهدأ

مالذي دهاك

نعم لقد أخطأنا ولم نقصد الأذية لأحد، كما أن الأدلة لم تساعفنا وكل شيء أضحى ضدنا حتى ذلك الشيطان ورطنا و إختفى حتى بت أشك أنه شيطان فعلا.

زفرت بقيلة حيلة : لا تقلق فإن لم تنصفنا عدالة الأرض اليوم ستنصفنا عدالة السماء . وان كان و لابد أن نعاقب ولكن هذا العقاب قاسي قاس جدا.

صمت أحمد وعاد لشروده كأنه يقول لا جدوى من جدال عقيم الآن فكل شيء قد حسم.

وسيطر الصمت مجددا على المكان.

لا أدري أ أرثي نفسي أم أواسيها

تموت كل يوم ألف مرة قبل موعدها

لا تؤخروا الجنازة لقد نفذ صبر صاحبها.

ستة أيام مرت علينا داخل الزنزانة كدت ألفظ فيها قلبي من شدة مرارتها،

ستة أيام مرت وانا واقف خلف القضبان آملا أن ينتشلني أحدهم من وحل الخراب من الموت و مني انا ان استطعت فقط ارميني بطوق النجاة ، يبدو أنني أركض وراء أحلام بساقين مبتورة ،ستة أيام مرت أنام فيها كل ليلة و عيناي تدمي ، ترى كيف حال أبي ، إخوتي، أصدقائي و .. و أمي.

و فجأة استدرت إلى أحمد و رفعت حاجباي بإستنكار مذ رأيته يبتسم

_لقد جن الولد.

أحمد : سالم

_هاا

أحمد بحنين : أتذكر يا سالم ، أتذكر أيام الثانوية و مبارياتنا في الحي أتذكر مقهى العم خالد كنا نتردد عليه كل ليلة للعب الشطرنج

ثم ابتسم : اعترف يا سالم كنت تخسر دائما.

بادلته الابتسامه ونسيم الماضي يلعب بمشاعري كورقة خريف تعصف بها الرياح الى الشط المجهول.

ثم ضحك باستهزاء : أتذكر أول أيام الجامعة يوم تغزلنا بتلك الشقراء في المطعم ثم شتمتنا و غادرت ، وبعدها توجهنا نتسكع لقاعة المحاضرات وما إن دخلنا أجمتنا الصدمة، الفتاة نفسها هي مدرسة اللغة الانجليزية ابتسمت لنا و طردتنا من الحصة و كأن الفرصة جاءتها على طبق من ذهب لترد لنا الصاع صاعين

_هههههه ضحكت رغما عني : لقد أعطتني صفر مع أني كنت أستحقه.

سكت ثم أكمل بحرقة : و يوم وفاة والدي أنت الوحيد الذي كنت بجانبي ساندتني كنت العصا التي أتوكأ عليها ، كنت معي في فرحي و قرحي كل شيء حتى حتى في موتنا سنكون معا

لقد وفيت بوعدي يا صديقي يوم دونت لك في مذكرة الطفولة أنني سأظل جنبك الى الابد حتى الموت لقد وفيت يا سالم وفيت.

ثم ضحك بخفة : أترى القدر كيف يلعب بنا يا سالم.

ومن بين ابتسامتي تجتمع خيباتي دفعة واحدة فتخرج بعضها كالدمع المتحجر و بعضها غصة في حنجرتي تكاد تنفجر ، أعطيته ظهري متظاهرا بالنوم ليتسنى لي عزاء نفسي ، لا أريده أن يرى دموعي لا أريد لتفاصيل الماضي أن تنبش داخلي.

مـرت سـاعات طـوال وقـد نامـت العيـون و هـدأت الجفـون في مضـاجعها .و فجأة استيقضني أنين خافت تعدلت في جلستي بسرعة.

_أحمد ما بك.

احمد بصوت متقطع متألم : سـ سالم.

اصابتني نوبة ذعر لقـد كـان يرتجـف بشـدة كفـرخ حمـام حـديث الـولاده سـقط مـن عشـه ،و غـير قـادر علـى الكـلام حتـى ، تخوننـا الحـروف في أعـز الحاجـة .رفعـت جسـمي بسـرعة و توجهـت نحـو القضـبان الحديديـة أصـرخ : أيهـا الحارس ، أيها الحارس فليأتي أحدكم.

لكن لا مجيب..

أحمد بصوت ضعيف : لا يا سالم ، تعال .. تعال..

_لا ترهق نفسك بالكلام يا أحمد تحمل قليلا.

لامسـت جبينـه فشـهقت بقـوة حرارتـه جـد عاليـة لا نملـك حتـى شـربة مـاء نطفيء بها هذا اللهيب ،

احمـد بابتسـامة باهتـة جاهـد أن تخـرج : تعـال يـا صـديقي فنهايتنـا واحـدة سواء اليوم أو بعد ثلاثة أيام أو حتى بعد ألف سنة.

_قاطعته برجفة: لا لا تقل هذا ، ستكون بخير أنا واثق.

احمد بنبرة اختلفـت كليـا: يبـدو أن للقـدر رأي آخـر ، الظـاهر أنـني سـأودعك الآن يا رفيقي.

ثم كح بقوة

_صرخت بوجهه : لاااا سنرحل معا اصبر أرجوك تحمل قاوم يا أحمد ، قاوم أرجوك

احمد : أقاوم !!! بربك يا سالم لماذا أقاوم الآن مالشيء الذي لم أفعله خلال ثلاثين سنة من عمري حتى أفعله الآن و أقاوم من أجله .... لا شيء لا شيء.

بكيت رغما عني و أنا أصرخ لعل أحدا من حراس السجن يسمع استغاثتي.

وفجأة جحظت عيناي وأنا أرى رفيق دربي و صديقي يحتضر ، أطرافه باردة ، نبضه متوقف .صرخت مناديا بإسمك فيرجع صدى صوتي قائلا لي قد رحل بلا رجعة ،

يرجع صدى صوتي ليقيم مراسيم العزاء ،

أبكي وفي عيني ألف دمعة و دمعة ، صرخت و صرخت حتى كادت حبال صوتي تنقطع ، وفجأة جاء حارس الزنزانة يضرب في القضبان بكل قوته ويصرخ ماهذه الضجة،ولما رأى حالتي منهار كليا و صديقي ممدد أمامي عقد حاجبيه ونادى بعض الحراس و طبيب السجن ، دخل جس نبضه ثم بإشارة من بيده جاءوا بمحمل و أخدوه و أنا مرتمي في الارض بلا حراك ، ناظرني ذلك الحارس و ابتسم باستهزاء : يبدو أن صديقك

مستعجل. وقفت في غضب و رحت أصرخ وأشتمه لحسن حظه أن هذه القضبان تحول بيننا و إلا والله سيؤخذ هو الثاني في المحمل ،رحمة الله عليك يا أنيسي لقد مات خوفا، مات بؤسا، مات ظلما لقد قتلتموه قبل أن تقتلوه .رباه كيف سأكمل ما تبقى لي هنا أضحى المكان موحش أكثر من ذي قبل ، مالذي تنتظرونه نفذو حكمكم الظالم و خلصوني من هذا الجحيم ، انا اموت كل يوم هنا.نعم فأنا متهم الامس و سجين اليوم و معدوم الغد في ساحة عقلي و أمام كل أفكاري سأعدم بحبل الوريد إلى أن تجف آخر قطرة دموية .نعم روحي أعدمتها و ضميري أعدمته لم يتبقى لكم سوى جسد هزيل بلا روح بلا قلب بلا عقل فقط كومة عظام بالية ملتحفة تحت جلد ميت ... مر يومان

وما كادت تمر تنفست بقوة إنه آخر يوم ، آخر ليلة والنهاية تدنو رويدا رويدا ، لا تقلقوا لست خائف كل شيء مات بالنسبة لي فلتعجلوا ، صليت ركعتين تضرعا لله طالبا الرحمة لم أصل بحياتي بهذا الخشوع بهذا الخضوع ربما استمرت صلاتي و مناجاتي ساعتين أو ثلات أو أكثر لا أدري ، بقيت على وضعيتي تلك جالس بين حضرة الرب حتى الفجر فأي نوم يأتيني وانا على موعد مع نومة لا يقظة بعدها.

فتحت البوابة ، فانتفضت من مكاني بسرعة نعم إنها النهاية النهاية التي لا مفر منها ، تملكتني رعشة في أطرافي و بدأ قلبي ينقبض و كل

جسدي ينتفض و شفاتاي اليابسة ترتعد ، رباااه ارحمني ، خانتني دموعي فكيف لا أبكي و جسمي ذاهب إلى قبري بكل محاسني و مساوئي.

وقعت عيني على حارس السجن وحده بانت علامات الاستغراب على ملامحي لم هو وحده.

ناظرني بسخرية وقال : أي حظ لديك

تابع قائلا فتحت قضيتك من جديد ،لقد ظهر شاهد لصالحك في القضية و ستحال الى الاستجواب الآن مرة أخرى.

تجمدت كالصنم أيمزح معي هذا السادج أم ماذا ، هل ما سمعته حقيقة أم أنني قد جننت. صدقوني فكل الحروف عقيمة عن وصفي شعوري.

الحارس: هيا هيا لن أنتظرك ألف سنة.

دفني بقوة و انا اضحك بشدة و دموعي تتسابق في التساقط، من يراني يظنني أخرق مجنون.نعم يبدو ذلك لقد جننت فعلا.

# كيد النساء

كانت الرياح شديدة قليلا ، والسماء عابسة ملبدة بغيوم رمادية اللون. و ككل يوم أشق طريقي بخطوات متسارعة مارا بتلك الأزقة الحجرية الضيقة التي تمتلىء جدرانها بخربشات و رسائل العشاق ، لأحجز مكانا لي في مقهى العم علي ، تلك القهوة العربية الأصيلة التي يصنعها تغريني لإرتشاف كوب كوبين و ثلاث...

مع لفحات البرد التي تقرصني وعبق التراب الذي اختلط برائحة المطر ليلا ، أتأمل وجوه المارة بوجه عابس ،و حمرة طفيفة تعتلي أطراف أنفي من شدة البرد ، تتسابق أقدام هؤلاء العمال البؤساء الذين يكدحون طول النهار لنيل لقمة العيش ، وعلى حافة الرصيف هناك عشرات الباعة يصيحون إنهم مزعجون حقا.

وضعت ثمن القهوة على الطاولة و لملمت شتات نفسي المتبعثرة ، و اتجهت نحو محطة الحافلة ، الساعة الآن تشير إلى التاسعة إلا ربع .لقد تأخرت عن الشيخ محمود صاحب الدكان الذي أعمل فيه ، عليا تجهيز نفسي لسماع وابل من الالفاظ التي تعكر صفو مزاجي إنه لا يمل من

تكـرار أسـطواناته كـل يـوم ، هـذا إن لم يطردنـي أصـلا إنـه عصـبي و دقيـق جدا بخصوص مواعيد العمل.

وصلت الحافلـة ، والنـاس يتسـارعون للظفـر بمقعـد فيهـا ،وأنـا كالعـادة آخـر مـن يصـعد ، وقفـت بجانـب البـاب الخلفـي و نفسـيتي تحـت الصـفر ،دق جرس هاتفي و التقطته من جيبي بسرعة.

_ألو.

في الجانب الآخر ترد بصوتها الأنثوي: مرحبا أمير كيف حالك.

_بخير و أنت.

طال صمتنا لأردف قائلا : حسنا إذن .. ماذا صنعت في موضوعنا.

ترد بنبرة متأسفة : كما تعلم يا أمير ، أبي لن يتراجع عن شرطه.

بصوت ارتفع قليلا: لمـاذا يصـر علـى هـذا !! لسـت سـلعة للبيـع حتـى يسـاوم بك.

انتبهت علـى صـوتي ، وكـل مـن كـان في الحافلـة يترقـبني بصـمت و فضـول ، أقفلـت الخـط والغضـب يعتريـني ، تبـاغتني دوامـة مـن الأفكـار اللامتناهيـة .. كيـف يمكنـك أن تـبني مسـتقبلا في بـلاد راتبهـا لا يكفـي حتـى لإطعـام عصافير بطنك الجائعة.

قطع هذا الشرود سائق الحافلة : انتهت المحطة.

نزلت و شعرت ببرد يصفع جوانب وجهي الشاحب ، توجهت نحو الدكان بخطوات متثاقلة كأني أجر العالم خلفي.

وبصوت مبحوح : السلام عليكم.

ناظرني الشيخ محمود بنظرة فارغة مجردة من أي شيء أشبه بنظرة إحتقار ، ناولني المفتاح و رحل دون أية كلمة ، لم يرد السلام حتى ... غير مهم فتجاهله لي أحسن من صراخه الدائم.

انتصف النهار و أنا جالس في نفس المكان غارق في أفكاري التي لا تنتهي ، لم يحالفني الحظ طيلة حياتي البائسة ، لقد شارفت عقارب عمري على الثلاثين سنة ، لا أحلامي تحققت و لا عمل لائق يستحق كل تلك التضحية بسنوات عجاف من عمري ، فمنذ تخرجي وأنا ألهث من مؤسسة إلى أخرى لعلي أظفر بعمل هناك و دوما ما كنت ألاقي نفس الرد و الرفض ... تلك الشهادة الورقية التي استنزفت كل عمري و شبابي لم تجد مكانا يحتويها سوى في جدار غرفتي بجانب صورة جدي لأترحم عليهما كل صباح ، فرحمة الله عليك يا جدي و ألف رحمة عليك يا نصف عمري.

لا بأس فهذا الدكان الصغير يسد القليل من رمقي ، حتى الفتاة التي إخترها لتشاطرني حياتي البائسة لم أظفر بها بسبب طمع والدها و

جشعه ، تقدمت لها مرتين و لكن شروطه كانت تفوق طاقتي كان كمن يعرض بضاعة في المزاد العلني من يدفع أكثر تكون من نصيبه.

عانقت السجارة شفتي و مع كل نفس آخذه منها تحترق هي بصمت ، فكلما جفا قلبي أمطرت سجارتي رمادا و عصفت بي الى المجهول ، يسقط رماد سجارتي الأخيرة مع صوتها .

ليلى: يجب أن نتحدث.

_أجبتها بنبرة جافة: حسنا ، مالأمر .

ليلى بترجي: أمير أرجوك تحدث مع والدي مجددا ، إنه يحاول إرغامي على ذلك العجوز الخرف.

_اسمعي يا ليلى ، رُفضت مرتين و أظن أن لي كرامة أيضا ، شروط والدك واضحة وانت تعلمين جيدا وضعي ، ما لي من المال كي أوفر لك بيتا لوحدك و لا لإقتناء كل ذلك الكم من المجوهرات والذهب ، أظن أنه لا نصيب لنا.

ليلى مقاطعة حديثي: أنا لدي الحل ، أنت فقط تكلم مجددا مع والدي أرجوك.

ناظرتها باستغراب: ماذا أنت فاعلة ، ستحاولين إقناعه مجددا !!

ليلى : كلا ، فقط ثق بي يا أمير ، و وافق على كل شروط أبي.

لازلت نظرة الاستغراب مرتسمة على وجهي: كيف ؟؟ أخبريني.

ليلى: لا تسأل الآن كل شيء سيكون على خير مايرام ، و سأخبرك بكل شيء.

_ولكن!!

ليلى : ألا تثق بي.

_بلا ، ولكن الأمور ليست بهذه البساطة.

ليلى: أرجوك دعني أتصرف.

_حسنا سنرى.

ذهبت هي و تركتني أتخبط في البحر الأسئلة اللامتناهية.

حل المساء ، أغلقت الدكان و رحت أتمشى بين برك الماء الضحلة ، الشوراع خالية ، هدوء نسبي يعم المكان

اتصلت بوالدها و حدثه بخصوصها ، وافقت على شروطه و حدد لي معاد للخطبة ، تبا يبدو أنني سأغرق في مستنقع ديون لا مخرج منه.

مرت ثلاث أيام ولم يتبقى على موعد الخطبة سوى أسبوع ، إلتقينا في أحد المطاعم الشعبية وجهي متهجم من شدة التفكير و هي جالسة قبالي ترتشف الشاي الاخضر بهدوء ، حتى قطعت هذا الصمت.

ليلى: حسنا يا أمير . كما أخبرتك المشكلة نصفها محلولة.

بابتسامة ساخرة : نصف !!؟ هلا أخبرتني مالذي تحيكينه وراء ظهري ، و ترمي بي أنا في فم مدفع والدك .

ليلى بضحك: سأشرح لك.

لـي صـديقة زوجهـا تـاجر ذهـب ( مجـوهراتي) أخبرتهـا بالقصـة و حـدثتها أن تقنع زوجها أن يقرضنا الذهب ثمن ما طلب والدي منك.

قطعت حديثها بغضب : ماذا !! أ تمزحين.

ليلـى: اسمعـني للأخـير ، هـو وافـق علـى طلبهـا بعـد مناوشـات طويلـة المهـم أنـه وافـق ، أنـت سـتذهب إليـه و تسـتأجر الـذهب لمـدة شـهر بـثمن لـيس بكثير . ثم نعيده بعد العرس.

ضـحكت بقـوة : أتمـزحين، لالا يبـدو أنـك جننـت فعـلا .. حسـنا فلـنفترض. والبيت ؟؟

ليلى : نستأجره هو آخر مدة شهر أيضا.

بصوت حازم: هذا يعني أنني سأتزوجك بالخداع.

ليلـى : لا أبـدا ، وأيـن الخـداع في هـذا ، أنـا موافقـة فقـط أبـي مـن يهـول الأمور ، أرجوك لا أريد أن ينتهي بشبابي مع عجوز خمسيني أخرق.

صمت مدة مـن الـزمن و أفكـاري ضـائعة . وهـي تحملـق بـي كطفـل صـغير ينتظر منك قطعة حلوة.

_حسنا موافق ، لكن ماذا ستكون حجتنا بعد انقضاء الشهر.

ليلى : لا تقلق ، سأحل كل شيء.

انتهى نقاشنا مخلفا وراءه ألف علامة إستفهام وانا ضائع في دوامات لا متناهية.

استأجرنا الذهب كما طلبت و استأجرت البيت أيضا ، و تمت الخطبة على خير ما يرام وتم تحديد حفل زفاف بعد عشرون يوما.

مرت هذه الأخيرة و مر العرس أيضا ولم يشك والدها مثقال ذرة.

بعد مضي تسعة أيام من العرس

_أتدرين أن غدا نهاية الشهر ، علينا تسليم البيت والذهب أيضا.

ليلى: أعلم ، و لهذا السبب سأذهب إلى بيت والدي.

عقدت حاجباي بإستنكار : و لما !!

ليلى ( ضحكت بخفة ) : إنه الجزء الأخير من الخطة.

زفرت بملل: أنت تخططين و أنا أتبعك كالأحمق مثل الاطرش في الزفة.

ليلى: لا تقلق ، خذ أنت الذهب الآن إلى صاحبه ، و سأتصل بك قبل عودتي.

.أعدت الذهب ، و كأن جبل فوق ظهري إنزاح ، و رحت إلى عملي كالعادة ، حل المساء و اتصلت بي زوجتي ، تبا سوف أجن من وراءها ومن وراء خططها التي ستؤدي بحياتنا إلى الهاوية ، إنها مجنونة فعلا أي خطة هذه طلبت مني العودة للمنزل وكسر قفل الباب والمغادرة ،

تأففت بملل ، حسنا لا بأس إن كنا سنتخلص من هذه الورطة فلا حل عندي سوى المضي وراء خططها الغبية ... فعلت ما أمرت و اتجهت نحو مقهى الحي كأنني قاتل مأجور

في بيت الوالد.

ليلى : أبي ، لقد تأخر الوقت و سيحل الظلام قريبا و زوجي لم يرجع من عمله بعد ، هلا أوصلتني لبيتي ؟؟

الأب : حسنا يا ابنتي ، انتظرك في السيارة لا تتأخري.

وصلت ليلى مع أبيها إلى البيت ، اتجهت نحو المدخل ثم صرخت.

هلع الوالد و ترجل من السيارة راكضا لابنته : ما الأمر ماذا هناك.

ليلى وهي تمثل الخوف: قفل الباب مكسور ، لاريب أن لصا دخل المنزل.

ألجمت الصدمة والدها ، دخل يتفحص المنزل . بينما هي ذهبت لغرفتها

ليلى ببكاء : لقد سرقنا لقد سرقنا.

الأب : ماذا هناك

ليلى : صندوق الذهب فارغ ، لقد سرقنا.

الأب : حسنا إهدئي يا ابنتي ، سأتصل بزوجك الآن.

اتصل بي والدها بينما أنا جالس أرتشف القهوة.

_ ألو.

الوالد بتوتر: أرجوك يا بني أسرع . تعال الى المنزل بسرعة.

_ مالامر ، ماذا حصل.

الوالد : تعال فقط .

وأقفل الخط.

توجهت بسرعة نحو البيت وأنا لا أعلم أي مصيبة قد حلت فوق رأسي تبا ، هل كشف أمرنا أم ماذا.

دخلت البيت فإذا بي أرى ليلى مترنحة على الأرضية ترثي حالها.

تكلمت بخوف : ماذا هناك ؟؟

الوالد : اسمع يا بني ، لقد سرق البيت ، لما أحضرت ليلى الى هنا وجدنا قفل الباب محطم وكل الذهب سرق.

_ ماذا!!!

حاولت جاهدا كتم تلك الضحكة ، يا لها من ماكرة.

_ لا بأس ، المهم أنها بخير ، سيخلف الله علينا خيرا منه.

و فجأة قامت ليلى من مكانها يصراخ : أنا لن أبقى في هذا المنزل وحدي مجددا بعد اليوم.

ناظرتها بالاستنكار.

ثـم أردفـت : لـن أبقـى ، مـاذا لـو قـدر الله و تسلسـل اللـص وانـا داخـل البيت ( ببكاء واصلت)  لن أبقى هنا أبدا.

والدها : حسنا إهدئي الآن يا بنتي.

ليلى  : أمير سننتقل للعيش مع أمك أنا أخشى البقاء هنا وحدي.

والدها : كما تشائين يا ابنتي.

إلتفـت نحـو زجـاج النافـذة  و بابتسـامة عريضـة " تبـا لكـم يـا معشـر النساء , فعلا كيدكن عظيم و لكن حبكن أعظم"

## السيرة الذاتية

الاسم : سارة اللقب : بزير

مواليد: 8 أكتوبر 1999 /الجزائر العاصمة

البلد: الجزائر

عنوان السكن: 36 شارع عمر ملاح .رايس حميدو الجزائر العاصمة. الجزائر. الجامعة : جامعة العلوم والتكنولوجيا هواري بومدين باب الزوار . الجزائر التخصص: طالبة سنة ثالثة علوم المادة ،فرع فيزياء.

البريد الالكتروني: sarahbezir5@gmail.com

الهاتف : 0540428644

# الفائزة : هبة جمال أحمد

# "أنا أقبل"

غارقة هي بين دموعها كما تغرق بين طيات فستانها الأبيض الذي طالما حلمت به.. لا تستطيع التوقف عن البكاء، يكاد قلبها ينفطر،تلتف طبقاته حولها تكاد تخنقها وتسحق صدرها، لا تصدق أنها ترتديه حقا بكل جماله وبهائه، طبقاته الكثيفة التي طالما تخيلتها، انسيابيته على جسدها والتي أبرزت جماله وتناسقه، وتلك الفصوص اللامعة التي تزينه بسخاء، حالة الهرج والمرج التي أصابت الجميع من حولها لم تساعدها على الخروج من حالتها، وصيحة غاضبة من المخرج "ستووووب" مع هزاتٍ متتابعة لذراعها وكلمات صديقتها تسألها "ماذا حدث؟... هل أنت بخير؟.. هل تآذيتِ؟" هزةٌ نافيةٌ من رأسها جعلت الأخرى تتنفس الصعداء أخيرًا تزامنًا مع صيحة المخرج العالية "ما هذا الهراء ما بها تلك؟!" أسرعت صديقتها تساعدها على النهوض وهي تنظر حولها بتيهٍ تحاول استرجاع ما يحدث، بينما ردت صديقتها تحاول تهدئته "ثواني فقط أستاذ وتكون جاهزة من جديد، ربما تعثرت فقط" يصرخ بها مرة أخرى"إنها مجرد كومبارس إما أن تعمل او نستبدلها، هذه آخر فرصة"، "كومبارس" رددتها على لسانها بخفوت، إنه دورها حتى في الحياة الحقيقية وليس هنا فقط، مجرد شخص لا يلعب أي دور مهم، إن

حذفته من الحياة لن يحدِث فارق، لا شيء مميز، وجه خمري مستدير يميل للنحافة، عيون بنية تختبئ تحت جفنين بارزين وحاجبين منعقدين دائما، مع انف صغير وشفتان مزمومتان دون مناسبة، أب وأم أنهكهما السعي وراء لقمة العيش حتى مضت بهم الأيام وأصابهما المرض، وجسد أبَى أن يترك لها أملا في حياة عادية حتى وإن كانت بسيطة، الم بسيط في البطن، وكشف في مستوصف قريب كان بداية لرحلة عذاب أخرى، دوامة من الأشعة والتحاليل ابتلعتها لتلقيها مع خبر قضى على آخر أحلامها "ورم كبير بالرحم يجب استئصاله واسئصال الرحم كاملا حتى لا يشكل خطرا على حياتها" ويضيع معه الحلم الذي تولد به الأنثى وتكبر فيكبر معها حتى يصير جزءا لا يتجزأ من كيانها، الأمومة.

تشعر بساقاها تتحركان إلى حجرة جانبية حيث سحبتها صديقتها، تصلح زينة وجهها التي أفسدها البكاء، "أفيقي وإلا سوف تخسرين العمل" تحاول استجماع نفسها، تنظر لانعكاس صورتها في المرآة، ربما عليها ان تفرح وتعيش الحلم الذي لن يتحقق يوما، فعاهتها جعلت كل من يتقدم لها يفر سريعًا دون رجعة، إلا من عجوز متصابي أو مزواج يبغي متعة دون ذيول تنغص عليه حياته، كلمات صديقتها تعود وتنتشلها من شرودها مرة أخرى "ركزي هذه المرة، إنهما كلمتان ليس إلا أنا أقبل.. ثم تركضين اليه بينما يمسك بيديك" لم تستطع مقاومة الابتسامة الساخرة

التي ارتسمت على ملامحها هذه المرة على الاقل سيكون لديها فرصة كي تقبل حتى وإن كانت زائفة

## "زفاف آخر الشهر"

أنفاسها اللاهثة، وصوت خطواتها مع هبات الريح الخفيفة في وقت الظهيرة هي كل ما يسمع، عائدة من المدرسة إلى بيتها ولكن قدماها كان لهما رأي آخر، أخذا طريقهما للقبور كالعادة ،فالمكان الوحيد الذي تتنفس فيه حقا هناك أمام قبر والدتها، تجلس على الثرى تتحسسه بيديها ،تود لو تختلط به، لو تتلاشى بين ذراته فتتلاشى معاناتها ، أو تلفظ روحها هناك وليعطوها روحا تناسب ما يريدونه لها، أناتها ودموعها هي كل ما تستطيع أن تبوح به، لا تصدق أنها فقدتها بتلك السهولة، مرضها المفاجئ، وعجز الطب أمام ذلك المرض الخبيث، لتصبح وحيدة رغم عزوتها، جاء الوقت الذي خشيته طويلا لكنها ستواجهه اليوم دون مساعدة، كلمات والدها لا تغادر ذاكرتها "أنه آخر يوم لكي بهذه المدرسة التي لم يعد لها فائده، وستزفين لابن عمك بآخر الشهر"، كلماتها أبت أن تغادر فمها أمام نظرته الزاجرة وعروقه النافرة، سندها الوحيد ترقد تحت الثرى ولا تستطيع لها وصالا، لا تعلم أتكون ممتنة لها أن فتحت عينيها وقلبها على أنه ليس عليها أن تعيش نفس الحياة وتكرر نفس الأخطاء أم أنه كان عليها إلا تعرف ،ألا تفهم، وألا ترى الفرق، تتذكر كلماتها "يوما ما ستكونين قادرة على صنع حياة

تليق بك،وحتى ذلك اليوم لاتيأسي فطريقك مازال طويلا" ، نسمات الهواء التي اشتدت وباتت كالزوابع غاضبة لحالها،والشمس التى انكسرت حزنا عليها، أخبراها أن وقت البوح انتهى وآن أوان الرحيل.

تجرجر قدميها عائدة تتراءى لها صور صديقاتها كأنهم أبطال على مسرح هزلي، تلمع العيون كما تلمع تلك الحلقات حول اصابعهن، التنهيدات وخفقات القلوب إثارة للحدث الجديد، الأمنيات التي ترسمنها في الرمال فيعبث بها الموج مرة بعد مرة، حتى لا يتذكرن أنها رسمت يوما، وعندما تنقل الحلقة من كف لأخرى، يسكن الوجوم الملامح، تنطفئ لمعة العيون وتتجرع النفوس الخيبات واحدة واحدة، تشاركت معهن صفا واحدا، وتتمنى لو أنها لا تشاركهن المصير ، تدرك أن الايام ستحملها سريعا لآخر الشهر،وأنه لا خيار لها سوى المواجهه،تتلمس أثر والدتها في صفحة وجه أبيها، تلمح دمعاته التي يخفيها خلف غضبه الدائم، تذكِّره ببقايا أمنيات لها، تعلم أن طريقها إلى عقله طويل، وإلى قلبه أطول، وعليها أن تقطعه سريعا، لأن القدر لا يمهلها إلا لآخر الشهر

## "ظل القادم"

تركض في الظلام، تتعثر قدماها على طريق لا تراه، تسقط وتتوسل قدميها ألا تخذلانها الآن، تتحامل عليهما وتركض أكثر، يسكن الخوف أنفاسها، ويقفز قلبها عندما ترى الترعة من بعيد، "ليس مرة أخرى"، ترفع رأسها إلى شرفتها، نسخة أخرى منها هناك، ترقبها في هلع، "انتبهي..." صرخة الأخرى تجعلها تلتفت لتجد ذلك الظل الاسود يقذفها إلى المياة، تنتفض صارخة على سريرها ككل مرة، تتسابق حبيبات العرق على جبينها كما تتسابق أنفاسها ودقات قلبها المضطربة، تمسح وجهها بكفيها وتتمتم "أنا بخير... أنا بخير، لا شيء حقيقي إنه مجرد كابوس" تكذب على نفسها، لقد صار حقيقة تعيشها كل ليلة، ويشغل تفكيرها كل يوم، فقط لو تفهم، لطالما كانت الأحلام تلقي بظلها على حياتها القادمة لكن هذه المرة مختلفة هي حقا تشعر بالخوف، أنها ليست نتيجة امتحان أو موقف غريب تتعرض له او سفر متعب، أنها حياتها.. تشعر أن حياتها مهددة فعلا، أن الترعة التي طالما صاحبتها جريئة وذهابا، والتي طالما ألقت اثقالها وهمومها إليها كما كانت تلقي بالأحجار الصغيرة تتربص الآن بها كثعبان ينتظر الفرصة لالتهام فريسته، وما هذا الظل الذي يطارها ويلقيها في الترعة تنفض رأسها وتتمتم "كل شيء

مقـدر في النهايـة" تقـف وتنظـر لنفسـها في المـرآة، شـحوب بشـرتها والهـالات تحـت عينيهـا، تبـدو حطـام إنسـان، دراسـتها الـتي أهملتهـا رغـم قـرب الامتحانـات، شـرفتها الـتي اعتـادت ان تـأنس فيهـا بنسـمات المسـاء هجرتهـا، حتـى اختهـا لم تحظـى بمشاكسـتها منـذ مـدة، لقـد أصـبحت تعتزلهـا كمـا تعتـزل كـل شـيء، لا يمكنهـا أن تخسـر كـل شـيء مـن أجـل كـابوس، ترتـب صـفحة وجههـا ترسـم عليـه ابتسـامة تتمنـى ان تنفـذ لقلبهـا، تخـرج لشـرفتها تشـارك الصـباح أنفاسـه الأولى، وتلمـح جارتهـا وصـديقتها في الشرفة المجاورة، تشاركها الثرثرة، تشعر أنها ربما تعود لنفسها

-لـن أسـتطيع الـذهاب للجامعـة اليـوم، أبـي لديـه مشـكلات في عملـه هـذه الأيام، ويخشى علينا كثيرا

-ربما هي مشكلة بسيطة لا تقلقي

-لا أعلـم اسمعـه يتحـدث في الهـاتف كـثيرا، يخـبرهم أنـه لـن يخـالف ضـميره مهما هددوه

،"حسنا حان دوري لانقل لك ما يفوتك، لا تقلقي بشأن المحاضرات

تتشـبث بكتبهـا وتصـرف نظرهـا بعيـدا عـن الترعـة، تغمـض عينيهـا وتهـز رأسها تنفض عنهـا الأفكـار، وتقطـع طريقهـا سـريعا، يومهـا مضـى أسـرع ممـا أرادت، ما بـين محاضـراتها، وبعـض زميلاتهـا تلملـم مـا فاتهـا الفـترة الماضـية، وبـين المكتبـة وشـراء بعـض الأشـياء الضـرورية تسـرب الوقـت مـن بـين

يـديها، لتجـد الليـل حـل بوحشـته علـى قلبهـا، تسـرع الخطـوات تطـوي خوفهـا، وعنـدما توشـك رحلتهـا علـى الإنتهـاء تلمحهـم، ظـلال متشـحة بالسـواد.. ربمـا عشـرة، يحملـون بـين أيـديهم رسـائل المـوت... "مسدسـات"... جراكن تعرفهـا جيـدا... "بنـزين" همسـتها لنفسـها دون وعـي يلتفـون حـول بيـت صـديقتها، تسـأل نفسـها هـل سـتكون المشـاهد ام الضـحية، تتحـرك في حـذر حتـى لا يلمحهـا احـدهم، تتوجـه نحـو البـاب الامـامي للجـيران، تكـاد تقرع الجـرس، لكـن يـدا تحـول بينهـا وبـين ذلـك وتكمـم فمهـا تمنعهـا حتـى الصـراخ، تحـاول الفـرار، يتعثـر بينمـا يسـحبها للـوراء تـتخلص منـه تجـري دون هـدى وتصـرخ... تصـرخ كـثيرا، يخـاف البـاقون وينسـحبون بسـرعة، تجـد نفسـها أمـام الترعـة تلتفـت لتجـد أمامهـا ذلـك الظـل، يـدفعها نحـو الترعـة، لكنها لم تشـعر بـالخوف، وجـدت ابتسـامة مطمئنـة ترتسـم علـى شـفتيها، تمـد يدها وتتشبث بذلك الظل، ان كانت ستموت ستأخذه معها دون شك

# "فتاة المحطة "

ملقاة على رصيف المحطة عيناها تسبح في الا شيء، يتحرك الجميع حولها بين غادٍ وآت، كأنها غير موجودة، صدمها أحدهم واختفى بين الجموع دون أن ينظر خلفه، سقطت أرضا ولم تتحرك ...كأن بطاريتها قد نفذت فجأة، لم تتوجع أو تتألم من السقوط حتى، اقتربت منها يدفعني فضولي، ناديتها "هل انت بخير" كانت تشبه المتسولين او الباعة الذين يتجولون بين القطارات، لكنها لم تكن تحمل شيئا تبيعه، عينان واسعتان بلون العسل وأنف صغير وشاملة حسن بجانب فمها المنمنم، جميلة هي لو أزلنا تلك الأتربة والقاذورات التي تراكمت على وجهها ، كانت ملابسها متسخة لكنك تدرك أنها يوما ما كانت انيقة، بل وربما تتبع إحدى العلامات التجارية الشهيرة، تبدو في أواخر العشرينات، حاولت مساعدتها على الوقوف استجابت لي كأنها مسلوبة الإرادة، أعدت سؤالها "هل تأذيت؟؟" لم ترد، اجلستها على أقرب مقعد فنظرت ناحيتي كأنها لاحظتني للتو "سأنتظر... سأنتظر حتى إلى الأبد، هو وعدني ان يأتي، ولن يتخلى عني"كانت تهذي دون شك عيناها المتسعتان بانبهار وضحكتها التي تتسارع دون معنى جعلتني اسالها "من هو.." "قال إنه بإمكاني الوثوق به ، أهتم بي عندما كنت أمثل للجميع ..لا شيء، وأنا

... أنا أحببته، ومنحته كل شيء..قلبي....مالي، وحتى نفسي" كانت تبتسم بينما تنزل دموعها دون أن تدري، لكنها هبت واقفة فجأة "أخبرني ان أنتظره هنا، وعدني إلا يتاخر...." صوت صافرة القطار الواصل على المحطة أصابها ببهجة غريبة، أسرعت تتلمس ملامحه في وجوه الواصلين "لابد أنه سيصل اليوم، سيفرح حين يجدني بانتظاره" ، صافرة أخرى صدحت من القطار تخبرني أن وقت رحيلي قد حان، أسرعت لالحق قطاري غير قادر على مغادرة وجهها الذي ارتسمت عليه الحسرة عندما لم تعثر على ضالتها، تتحرك عجلات القطار تأخذني بعيدا، بينما عادت هي ترسم ذلك التعبير الواثق على وجهها أنه حتما سيأتي....هو لن يتأخر، ليجدها هنا في انتظاره ... تماما كما وعدته.

## "حجر أبيض ناعم"

صوت خطواته المكسورة كحال قلبه تنافس أصوات يرعات الليل الحزينة، لهاثه المرتفع يجاهد خذلان قدماه رغم وجع السنوات الذي قرر اغتياله من جديد، وسم جديد يلحق بروحه النازفه "كيف ازوج ابنتي لرجل مثلك" الشفقة والخزي في عينيها جعلته يدرك أنه يحارب في معركة خاسرة ، ربما لن يرى نفسه يوما في عيون تحبه، دموع القهر والعجز تجمدت في مقلتاه ببقايا كبرياء أبى أن يفارقه، يشعر أنه عاد طفلا يهرب من همسات زملائه اللاهية، نظراتهم الغريبة تجرده من ثباته، ضحكاتهم الساخرة تغطيها كفوفهم الصغيرة تنهش ثقته بنفسه ، حبيبات العرق النابض فوق جبينه وقلبه يقفز بين ضلوعه عندما ينادونه "الأعرج" ، لم يعد يريد أن يلعب معهم ولا أن يصادقهم، يمكنه أن يكتفي بنفسه، فقط لو ينسونه، لو يصبح غير مرئي لهم، يذكر ملمس الحجرين الصغيرين في راحة يده أول مرة، كلمات معلمه ترن في أذنيه "أنت والآخر كهذان،حجر اسود خشن ولامع، وآخر أبيض ناعم، ما بينكما مجرد إختلاف" تستقر يده الكبيرة على صدره الصغير "ما يوجد هنا هو أنت وليس ما في رؤوسهم" تعويذته الخاصة التي حالت بينه وبين قسوة قلوبهم وعمى أرواحهم، غادرت طفولته دون أن تهديه بضع

ضحكات أو بضع قُبَل،لاجئ على باب المراهقة يرجوها صفحا لا تمنحه فيغادرها دون زاد، وعندما يمنحه الشباب بعضا من رضاه يصدمه قدره مجددا"كيف لابنتي أن تحمل ذاك العار" أضاع سنواته يصنع مجدا يخفي عاره عن عيونهم لكنه أبى أن يفارقه ، وسامته التي تخطف الأنظار لم تخفف من شعوره بالنقص، "أريد وريثا يحمل اسم عائلتي وليس مسخا اعرج" والده وجع آخر يمزق روحه،أمان خسره قبل ان يدرك معناه، وسند تبدد مع نجيب أمه الصامت ودموعها الخرساء، ربما عليه ان يجري تلك الجراحة التي حدوثه عنها مهما كانت مخاطرها،ما عاد بإمكانه أن يتمسك بالحجرين بين يديه أكثر ،صوت ضعيف في داخله يخبره أن يتوقف عن رؤية نفسه بعيونهم، يخبره أن الحجر الاسود يجب ان يبقى كذلك كي يلمع،لكنه بمرارة السنوات يخمد ذلك الصوت،آملاً ان يروه فقط ...حجر أبيض ناعم.

## السيرة الذاتية

# الاسم/ هبه جمال احمد

السن/ 33

الحالة الاجتماعية/ متزوجة

المؤهل الدراسي/ كلية الصيدلة جامعة أسيوط/ مصر

العمل/ صيدلانية في مستشفى سوهاج العام/مصر

العنوان/ مصر- محافظة سوهاج- مركز أخميم- بجانب مدرسة جيل المستقبل للغات- برج الاتحاد

الأعمال السابقة/ شاركت في كتاب شياطين الإنس والجن

شاركت في مجلة إشراقة ومجلة ابتسامات الجيوكندة

# الفائزة : وفاء بقاش

## حلم الليل، يجهضه واقع الظهيرة

كان قابعًا في زاوية غرفته المهترئة..يجيل بصره حول المكان..يتأمل مطولاً بعنين بائستين كل مشهد يقع ناظره عليه..يتابع خطوط الماء على الجدار التي خلفتها السيول فجعلت منه حائطاً باكيا..نحتت ندوباً بنية عميقة.. تنتهي إلى أرضية متتحجرة..مليئة بالنتوءات ..

استمر على هذا الحال برهة من الزمن ثم سقط بصره على عنكبوت جعل من الزاوية التي تجمع الجدارين ملاذاً له ..كانت خيوطه بالية..تتأرجح في شقاء..عصفت الريح بقوة..وانسلت بين شقوق الغرفة تصر في ذعر..جعلت السقف يتحرك للحظات..سقط شئ ما على شبكة العنكبوت..فانتفض في سرعة..يتحرى أمره..علها تكون طريدة يسد بها الطوى الذي أنهكه..لكنها لم تكن سوى قطعة اسمنت انحدرت من السقف..ابتعد العنكبوت من المكان يجر أذيال خيبته وعاد ليستقر في مكانه الأول..استمرت تلك القطعة للحظات ثم فقدت توازنها و سقطت لتنهي فكرة الانتحار التي أنشدتها منذ البداية..هوت في انسيابية مطلقة..ثم ارتطمت بالأرض.. ولعلها تناثرت لأجزاء..

تستمر الريح في عصفها مما أقلق مضجعه..جعل يتقلب يمينا وشمالا عله يستسلم للنوم وكان كلما تقلب في فراشه يميل السرير ويصطدم بالأرضية لقصر في أحد أرجله التي تآكلت تدريجياً وصدأت بفعل الزمن .. تدحرج جهة الجدار وأسند ظهره عليه وهو مستلقٍ..ليتوقف السرير عن التمايل ويحافظ على توازنه..لكن كل محاولاته باءت بالفشل هجر النوم مضجعه..استسلم للأمر الواقع وعاد ليستلقي على ظهره..اهتز السرير و مال جهة الرِجل المبتورة..أحدث ذلك صخباً..كان كفيلا بإيقاظ ذكرياته الدفينة..تلك هي ميزة الخيبات، ولعلها أكثر من يترصد سقوطك..حينها تقوم بتحرير خيباتك القديمة وإعادتها للحياة مجددا..لتعيث في رأسك فساداً.. ثم طفقت إلى مرمى عينيه كلمات المَثل الشعبي"شحال ما طال الليل..يطلع النهار"..أخذت تلك الكلمات تتطاير وتترنح في ثمالة..تتفكك حروفها وتنفصل عن بعضها..لتعود وتجتمع مرة أخرى وهو يتأملها بعينين ذابلتين يائستين وكأنه يستجدي منها أملاً ليرمم به ما آل إليه من هشاشة..تساؤلات حثيثة كانت تنهش ذاته دون هوادة..تقوده لاستفهام واحد صارخ..متى ينجلي هذا الليل..متى يأتي صباحه المنشود ؟ امتدت يده أسفل فراشه..سحب كتاباً وفتحه على صفحة سبق وقام بثنيها ليتسنى له ايجادها بسهولة ودون وعي منه جعل يردد بصوت مسموع ما كُتب فيها " ''دع الناس مطمئنين .. لا تفتح

أعينهم .. و إذا فتحت أعينهم .. فمالذي سيرونه .. بؤسهم ؟؟ دعهم إذاً مستمرين في أحلامهم .. إلا إذا كان لديك عندما يفتحون أعينهم .. عالماً أفضل من عالم الظلمات الذي يعيشون فيه الآن" .. يعيد تكرارها كثيرا من المرات..وفي كل مرة يعيدها يزداد تقطع أنفاسه..ثم زم شفتيه وتوقف.. قام مرة أخرى بسحب قلم ومفكرة من أسفل فراشه وأخذ يدون تلك الفقرة بتركيز مستميت في المفكرة وأضاف بعض العبارات أسفلها.. وهو على ذاك الحال من الفوضى التي يعيشها..انطلق صياح الديك معلنا بداية يوم جديد..رفع بصره نحو فتحة النافذة.. وجعل يتأمل خيوط أشعة الشمس وهي تتسلل في استحياء ..لم يجد من بد سوى أن يقوم من سريره ويستعد لمواجهة تحديات يومه المعتادة..ثبت عينيه مطولا في الورقة التي خطها ثم قام بنزعها من المفكرة وطويها إلى قطعة صغيرة ووضعها في جيب سترته وقد ارتسم على محياه شئ من العزم والتصميم على شئ ما.. ثم خرج من غرفته يتقصى أمور الحياة..لعل شيئا ما يحدث..لعل الموازين تنقلب..

تبدأ الحياة خارجا مبكراً .. بائع المناديل الورقية هناك ..كعادته يقتطع طريق المارة ويتوسلهم أن يشتروا منه بعض المناديل ..منهم من يتذمر ويصده وبعضهم يبتسم في خجل ويأخذ منه بعض العلب..بائع الشواء هناك في زاوية الشارع بمئزره المتسخ ككل مرة يعلو صياحة المكان

وهو يدعو المارة لدخول مطعمه وجناحه العائلي الذي عادة ما يتواجد به سوى العشاق الذين يختارون طاولات الزوايا ليتسنى لهم تبادل النظرات واستراق بعض القبل إذا ما خلا لهم الجو..لا يكاد صاحب المطعم يلج محله حتى يخلفه في الصياح بائع السردين وهو يجر عربته الخشبية ..وهو يردد عبارة سردين طاااازج ويطيل كلمة طازج حتى يخيل إليك أن لوزتيه قد شارفتا على الانفجار..تتجمع بعض النسوة من حوله يساومونه في السعر وإحداهن تحاول أن تقيم عليه الحجة بأن جودة الأسماك ليست جيدة وأنها لا تستحق السعر الذي يعرضه..تتعالى أصواتهم في صخب وكثيرا ما ينتهي النزاع بعدم شراء السمك وانسحاب كلا الطرفين..وقف في منتصف الطريق وجعل يتأمل مظاهر الحياة..يتفرس وجوه المارة ..كانت وجوههم عابسة..ابتساماتهم شحيحة وكلماتهم مقتضبة يلوكونها في غصاصة وكأنهم يبتلعون الكثير من الكلمات على مضض..خيفة البوح..خيفة أن تكمم أفواههم وتلجم ألسنتهم..ككل من حاول التمرد وكسر حاجز الصمت..كان يمرر بصره حول الزقاق في انكسار مرهق..سحب الورقة من جيب سترته..بلع ريقه واستجمع كامل شجاعته وطرد عنه الخوف..فتح الورقة بروية..صرخ فيهم بأعلى صوته..اقتربوا جميعاً..لدي ما أخبركم إياه..تجمع الناس بسرعة فائقة ولا شئ دفعهم لذلك سوى الفضول.. حينها بدأ يلتهم الأسطر في

نهم بصوت جهوري ينبض بالأمل والرغبة الجامحة في مستقبل مشرق، خالٍ من الظلام .. إلى أن ختم كلامه قائلاً " ربما آن الأوان لنفتح أعيننا..ينتظرنا عالم علينا إنارته..وإني لأتوسم فيكم خيراً "..عم صمت مطبق على المكان..تكدرت الوجوه و انخطفت ألوانها..انطلق تصفيق من الخلف يقترب تدريجيا، حتى فسح عن شاب مربوع القد..باسم الثغر..وأردف: لله درك يا رجل..لله درك! بادله بترحاب غامر..انتهى اللقاء بعزم بالغ على التغيير..

تدحرج الزمن سريعاً..حلّ المساء..وانتصب الظلام قائماً حاملاً في طياته ريحاً قويه، جعلت شبكة العنكبوت تترنح..انتفض في اضطراب..وانزوى كعادته، ينهشه الطوى..مر الهزيع الأكبر من الليل ولا أثر لصاحبه في الغرفة..كُمِم صوت ما..خسرت الحرية معركة أخرى مع العبث..في انتظار نهاية الحرب..

## خطيئة الميلاد!

أيتها الزهرة لقد رميت عليك عاتقِك تحديد مصيري, فكوني منصفةً معي, على الأقل أنت.. ولا تخذليني كما فعل الجميع, وفضلاً منك هلا بدأنا ؟

- حسنا, لنفعل ذلك !

-أنتحر..

- لا..

- أنتحر..

- لا..

- أنتحر..

- لا..

- أنتحر.. لا !

فَعلتِها إذن ! أنت أيضاً لا تختلفين عنهم..اللعنة عليك !

بمجرد أن اخترقت جزيئات الأكسجين تِلكَ رِئتي شَهقت شهقةً واحدة ..انقطع فيها صوتي للحظات..ثم بكيت.. بكيت لأول مرة في حياتي .. بكيت قبل أن أفتح عينيّ حتى !..ثم سرت برودة في جسمي جعلتني أرتجف وقللت من الحدة التي سببها اختراق الهواء داخلي..كنت أجد صعوبةً في فتح عيني ..فقط إلى منتصفهما..كان ذلك السائل اللزج الذي يكسو جسمي يحول دون ذلك..كان الجو ضبابياً فلم أستطع تشكيل صورة واضحة المعالم للمشهد..إلاَّ أن شعرها كان أسوداً..كان قاتم السواد يا ليلى..مُنسدلاً على كتفيها بطريقة فوضوية، جعلته متفرقا إلي خصلات.. وثوبها أزرق سماوي, يضاهي زرقة البحر ..أتدرين أني أحببت ذاك الأزرق لهذا السبب..كنزتي الصوفية..طلاء غرفتي..ستائري الزرقاء ونسيم الصباحات يداعبها يُعيدني لذات المشهد.. فتتخدر ذاتي للحظات وأتشرب بتلك الذكرى حد الثمالة.. ثم تختفي نشوتها و أعود لواقعي ..أتجرع علقم الحقائق وأنا بكامل صحوتي..تتلبسني طوال الوقت ولا تترك لي متنفساً..

لم تلتفت لرؤيتي ..كانت تصرخ بامرأة كبيرة في السن ..مرتبة الثياب..شديدة الثبات..ولها ملامح شخص حازم..

- ما الذي تنتظرينه أيتها الشمطاء، لم دفعت لك؟ أسرعي بقطع الحبل السري، أنا لا أحتمل رؤية هذا المخلوق !! كان سخطها وغضبها يُثيران

تساؤلي ويبعثان الرعب فِيَ..انتفضت العجوز في ذعر و تخلت عن ثباتها ووقارها المُصطنع, التقطت آلة حادة وقطعت ببرودٍ قاتلٍ الرابط بيني وبينها .. وكانت تلك لحظة تشيعي بعد ميلادي بلحظات .. كانت تلك لحظة دخولي عالم الإنس المرعب ..العالم الخالي من الرحمة..كان قَطع ذلك الرابط أول وآخر إحساسٍ لي قبل أن ألج عالم اللاإدراك..

كنت أراقب بعينين ذابلتين لا أفهم شيئاً ! تلك المرأة ..صاحبة الشعر الأسود كانت تلعن وتذم اليوم الذي تشكلت فيه ..

كانت تقول: هذا الكائن القذر مصرٌ على الحياة، لَم يَكن ليموت أبداً ! كل تلك الأدوية والقفزات التي قمت بها ولم تقطع صلته بالحياة.... وصرخت بالمرأة في غضب ..ضعيه أمام المسجد كما اتفقنا ولُفِيه بخرقة إن شئت وإن لم ترغبِ بذلك, لا تفعلي !

- لكن ألن ترضعيه بعضاً من حليبك على الأقل ريثما يجده أحدهم ؟

-اخرسي ولا تتجاوزي حدودك، تذكري أنِي أدفع لك من أجل أن تخرسي وتبتلعي لسانك !

خفضت المرأة عينيها، والتقطت قطعة قماش صوفية خشنة الملمس ووضعتني في علبة كارتونية.. كان الجو غائماً..توقف المطر حينها, لكن

النسيم كان بارداً..كان بارداً لدرجة أنه جعلني أرتجف وأنا أمام باب المسجد ولا أحد انتشلني وأخذ بيدي !

هذا كابوسي الذي لا يهجر مضجعي يا ليلى ! كانت الأسئلة تجتاح كياني كلما وضعت رأسي على الوسادة, تتقاذفني الهواجس ككرة دون هوادة وهذا ما كنت أتخيله دائماً..

وبقيت تلك الذكرى تعشش في رأسي تقتات عليها مخاوفي ..تكبر وتكبر حتى صرت عبداُ لها ..تحررني حينا وتستعبدني وتستبد بي أحياناً كُثر..

أنا يا ليلى لم أحلم يوماً بلعبة ..لم أشته الحلوى كما يفعل باقي الأطفال ..كل الذي تمنيته تهجئة تلك الكلمة ..أن أجرب ذاك الشعور ولو لمرة في حياتي..كنت أتساءل إن كنت أستطيع نطقها بتلك الإنسيابية التي أتخيلها، لم تكن لي شجاعة بتهجئتها يوماً، حتى حين أخلو بنفسي ! كُل الذي استطعته.. كتابتها في دفتري وتأملها بعينين دامعتين ..حاولت الكثير من المرات التغلب على جُبني وقولها ..كنت أعود خائباً..خائر القوى..مكسور الخاطر ..ككل مرة..حتى أمامك أنت يا ليلى لا أستطيع ذلك..

أنا أمقتها وأكره كل ما يتعلق بها ..كلما سمعت شخصا ما ينادي والدته رغبت بقتله وتمزيقه إلى أجزاء دقيقة و رميه في مكب النفايات

دون أن يـرف لـي جفـن.. تبـا للمشـاعر..تبا للأسـرة..يا للمغفلـين لم علـيهم لعـب تلـك الأدوار وهـم مجـبرين علـى ذلك..إنـه لأسـوء شـئ أن يكـون المـرء مُحاطـا بأشـخاص يخبرونـه يـأن الأمـور كلـها علـى مـا يـرام .. تلـك المشـاعر تقتـل قـوة المـرء الدفينـة داخلـه..لِم علـي المجازفـة بـثقتي واسـتنفاذها مـع أشـخاص سـيخذلونك لا محالـه..لا أحـب وجـع الـرأس مطلقا..الوقايـة خـير مـن العـلاج هـذا مـا يقولـه العلم..العلـم حقيقـة ثابتـة يـا ليلى..أمـا الانسـان..كائنٌ وليـد اللحظـة..متقلب المزاج..مضـطرب السـلوك..لا يمكـن التنبـؤ بخطواتـه..ولأني شـخصٌ كـثير الوسـاوس..اخترت أن أكـون عـاطلاً عـن الحيـاة الاجتماعية..الشـعور بالأمـان طـوال الوقـت يُولـد الجبن..يقتـل روح الإبداع لـدى المرء..يجعـل مـن مصـادر إلهامـه محـدوده..حُبهم للحيـاة يقتـل إِقدامهم..أتـدرين يـا ليلـى هـؤلاء المُتشـبعين بأفكـار الحُـب يفتقـدون حِـسَ المغـامرة .. تَخَيَلـي ذلـك ..مـرةً يـا ليلـى.. أحرقـت روضـةً للأطفـال فقـط لأن لـون الطـلاء لم يـرقنِ .. المفاجـأة أن لونهـا كـان أزرقـاً, كالسـماء تمامًا..كموجـات البحـر تِلـك الـتي رميـت بهـا نفسـي يومًـا.. لكنهـا لفظـتني ..حتـى البحـر يـا ليلـى لم يرغـب بي..نبـذتني كحثالـة.. سَأُسِـر لـك بشـئٍ آخر..في محطـة القطـار كانـت إمـرأة تسـبقني ببضـع خطـوات، لهـا شـعرٌ أسـودٌ قاتم، مُهمل الترتيب.. كتلك الذِكرى تماماً..اِقتربي لأهمس لك..قتلتها !!

هـذا مـا ظننتـه في البدايـة..إلا أَنَّ أحـد الحمقـى أنقـذها قبـل أن تسـحقها سـرعة القطـار.. اللعنـة عليـه..كان الأمـر لِيَكـون دراميـاً..لكن الوغـد أفسـد عَليَ مُتعتي وسلبني إياها.

لا لا يا عزيزتـي لا تظـني بـي السـوء.. أخشـى أن تـراودك أفكـارٌ بـأني شـخصٌ سـيء الطبـع..ذميمُ الخُلُق..كـل مـا في الأمـر أن ذهـني مشـوشٌ أحيانًـا..عقلي فوضـوي..لا يخلـو المـرء مـن العيـوب يـا ليلى..ثمـة هـواجس وأصـوات أسمعهـا وأرى أشخاصـاً..حتى إنهـم يكلمـونني أحياناً..هـذا أيضـاً سـر آخـر لا تشـي بهِ..سيصـفونِي بـالجنون لا محالـه..أنتِ صـندوق أسـراري يـا ليلـى..بعض الأمـور لا يجـدر بالغربـاء معرفتها..العـالم خارجـاً مرعب..كـل شـئ قابـلٌ للاسـتهلاك هنـاك..على أنقـاض رُكامـك يبنـون مجدهم..المجـد كمـا يُخيـل إليهم..أجـد الراحـة بوصـفهم المتسـلقين.. يتسـلقونك كجبـل..يحطمون كـل مـا يعيـق سـيرهم..يجعلون صـخورك فتاتـاً ليبلغـوا مـا يصـبون إليـه.. المـرء لا يحتـاج للرغيـف فقـط ليعيش..كتلـة الخلايـا تلـك.. حيويتهـا تعتمـد علـى أشـياء أعمق..ثمـة مصـطلحات تُتَـرجم مـا أقصده..تخونني أفكاري الآن..أتفهمين ما أعنيه يا ليلى؟..

لم أستشـعر أيـاً منهـا في حيـاة الميتم..قبـل واحـد وعشـرين سـنة مـن الآن في الصـف الأول..أذكـر ذلـك جيـداً.. تعلمـين بروتوكـالات البـدايات تلـك..أنس.م, محمـد.ع ..ألسـت أنـت ابـن السـيد مصـطفى؟ نعـم سـيدي,

هكـــذا إذن، بَلغـــه ســـلامي الحـــار وإنـــه لتشـــرفنا زيارتـــه لنا..اســـتكمل مناداتـه..تأملي الموقـف معـي جيـداً.. لينـة.ب, ودادح, " وحيـد " ..ثـم توقـف وتجمـد مكانـه ..كـأن شـبحاً مـاثلاً أمامـه ..اكتفـى فقـط بتلـك النظرة..رأيتـه يبتلـع الكـثير مـن الكلمـات خلـف شـفاهه وتـابع مناداتـه بصـوت متقطـع مضـطرب..حتى الاسـم لم ينصـفوني فيـه..لِم كـان علـيهم أن يحكمـوا علـي بالوحـدة منـذ البدايـة.. ابـن الدولة..التفاصـيل مهمـة..الحياة برمتهـا تقـف على التفاصيل..لا عجـب أنَّ الحيـاة سـلبتني كـل شـئ ..كـل شـئ ..حتـى أنـت يـا ليلـى لم تكـوني سِـوى طيـف يزورنـي ليرثـي حـالي بعـد كـل نكسـة..بعد كل كـأس علقـم تـذيقني الحيـاة إيـاه..اعتزلتهم جميعـاً..لكني لم أسـتطع اعتـزال نفسـي و ذاكرتي..سـأخون تلـك الزهـرة يـا ليلى..سـأنْقِض عهـدها..لا طاقـة لي بالعيش بينهم..لن أسمحِ لأحدٍ بأن يخذلني بعد الآن !!

## الرسالة الرابعة عشر

إنُّهـا الرسـالة الرابعـة عشـر..لا أدري إن كنـت تقـرئين رسـائلي أم لا..إلا أنُّ شـيئاً مـا ..لا أدري كنهـه يجعلـني أواصـل الكتابـة لـك لعلـك تـرثين حـالي ويزورنـي طيفـك ولـو لمـرة أخيرة..مازلـت كـآخر مـرة افترقنـا فيهـا.. قابعـاً في سـريري.. أنـزوي وحيـداً في غـرفتي المنفـردة في المركـز الطـبي " بِتَازُولـت" * لمكافحـة ال... حسناً..حسـناً..لا تغضـبي..اغفري خطئـي يـا عزيزتـي..أعلم أنـك تكـرهين تلـك الكلمـة وتمقتينهـا بشـدة..لكن أردت أن أخـبرك بكامـل التفاصـيل لأُكَـونِ لـك مشـهداً متكامـل الأوصاف..صـمت مُريب يخـيم علـى المكـان إلا مـن صـوت قطـرات المطـر وهـي تضـرب زجـاج النافذة..لعلـها تباشـير الشـتاء قـد أقبلـت..أعلم أنـك سـعيدة بـذلك..لطالما كنـت تتشـاءمين مـن الخريـف وتـرين فيـه الموسـم الشـرير الـذي يتسـبب في تسـاقط أوراق شـجرة الإكليـل خاصـتك..وكأنك كنـت تعلمـين أن أوراق حياتـك ستسـقط في ذات الموسـم..أعلم جيـداً أنـك تتـوقين لمعرفـة الأخبـار هاهنـا في المركـز الطبي..لكـن لا شـئ تغـير تقريباً..عاملـة النظافـة الخالـه صـليحة مازالـت تتـذمر كـل صـباح مـن تصـرفات آدم الصـبيانية..يا للطفـل الشقي إنـه يرمـي لهـا أغلفـة الحلـوى في الـرواق الـذي سـبق ونظفتـه بـداعي

التسلية كي يغيضها لتجري خلفه ويستمتع بذلك..لا أحد في المركز يلعب معه ووحدها الخالة صليحة من تجعله كذلك..وهي في قرارة نفسها تدرك جيداً أنه يفعل ذلك بداعي الملل وضيق النفس من الجو الخانق بالمركز..الأسبوع الماضي كانت جلسته الأولى للعلاج الكيميائي..لو أنك رأيته..كانت دموعه تنهمر بشدة على وجنتيه الورديتين كلما تطلع بالمرآة ورأى ملامحه بعد أن قاموا بحلاقة شعره..وجدت صعوبة بالغة المدى في كفكفة دموعه..لكنه بعد ذلك جعلني أضحك ملئ رئتي..أتدرين شيئاً ؟ آدم الشقي أكثر ما كان يحز في نفسه بعد أن خسر شعره البني اللامع أن الفتاة المدعوة ''ملاك'' لن تراه وسيماً بعد الآن وقد تُعجب ب ''إياد''..غريمه على ما يبدو..لكني أخبرته بأن السر الوحيد الذي يجعل شعره يعود كما كان أن لا يتوقف عن الابتسام وإن هو بكى مرة أخرى لن ينمو شعره أبداً..كان الأمر مقنعاً بعض الشئ وتوقف عن البكاء..

إنُها السادسة مساءً..كلما مر بي هذا الوقت من اليوم..يتوقف الزمن عندي ويتوقف معه كل شئ حتى أن الأشخاص يفقدون قدرتهم على التحرك وأراهم كالجمادات في صورِ آخر حركةٍ لهم..ثم تعيدني ذاكرتي لذات المشهد من ذاك اليوم الذي رأيتك فيه لأول مرة..قبل سنة من الآن..مازلت ككل مساءٍ أحمل ذاتي وأجرجر عمود المصل معي للرواق

ليتسنى لي إحياء المشهد بوضوح تام..أسمع ضجةً قادمةً من بعيد..تقترب شيئاً فشيئاً..حالة استنفار قصوى وأوامر بتجهيز غرفة العلميات لحالة مستعجلةٍ..ها هي ذي عربة النقل تقترب وتتدلى منها يدٌ تضاهي حبات الثلج بياضاً..زاد فضولي لأعرف الشخص الذي سيخضع لعملية بهذه السرعة..تسللت بين الجموع و اقتربت كثيراً لأجدك..

أنتِ..

كان وجهك شاحباً بشدة, عيناك مغمضتان تكتحلان بهالات سوداء..و شفتاك متشققتان عند منتصفهما ..لا أدري لم تسارعت نبضات قلبي بتلك الحده..كانت تخفق دون هواده وشعرت بانقباضٍ في صدري..خوفٌ ما اجتاح كياني فجأة ..سحبت نفسي إلى غرفتي وأنا غارقٌ تماما في هوةٍ سحيقة لا أرى فيها من مخرج..كنت خائفاً من أن لا تستطيعي الصمود أثناء العملية..لا أدري لِمَ شعرت بأنُ الأمر يعنيني وقد عشت أياماً كثراً في هذا المركز, رأيت فيها الكثير ممن ابتلوا بمرض ال..لا.لا, لن أتلفظ بها يا عزيزتي..كما أسلفت..بالكاد أصبحت أشعر وقد اعتدت جلسات العلاج الكيميائي..الصراخ من الألم الذي يتجاوز غرف العلاج..الأنين المُرهق منتصف الليل..الكلمات القصيرة المقتضبة..اعتدت كل شئ..كل شئ تقريباً..إلا أنُ الأمر معك كان مختلفاً..مختلفاً جداً..استغرقت العملية حينها أربع ساعات..لكنها كانت كالأربع سنوات..عددت الدقائق وحتى

الثواني, لكنه لم يكن ليتقدم البته.. خُيِّل إليَّ وكأني وسط هالةٍ تتحرك فيها الأشياء بتصوير بطئ.. كأن الزمن فقد قدرته على الانسيابية التي لا نشعر بها عادةً..كان الزمن حينها كعجوز ترمي كل ثقلها على عصاً تتكئ عليها لتصعد السلالم وعُلو السلالم لا تدركه الأبصار ..العجوز تتأرجح بتثاقل ودرجات السلالم لا تنتهي..لكن كل ذلك العذاب الذي عشته اختزله خبر نجاتك وتجاوزك مرحلة الخطر..حينها فقط دبت الحياة فيَّ من جديد..لسبب ما راهنت على أملي في الحياة بنجاتك..لو أنك تدرين كم رمت بي من هشاشة..كنتِ دائماً نقطة الضوء التي أراها دائما آخر النفق المظلم..صحيح أن أن لقاءاتنا وأحاديثنا داخل المركز كانت قليلة..إلاَّ أن ابتسامتك الدافئة كانت كفيلة بأن تقلص المسافات بيننا ..نظرة عينيك الخجولتين حين تطرقينهما عندما تلتقي عينانا كانت ترديني قتيلاً دون موت ..كنا نتشارك تفاصيلاً بسيطة إلا أنها كانت تجدد شحنات الأمل التي فقدناها بعد كل معركة خاسرة مع ذاك ال..لا داعي لتنبهيني يا عزيزتي..لن أردد تلك الكلمة مطلقاً كما وعدتك.. أتذكرين مشهد الغروب أمام الشرفة ؟ وكيف عساكِ تفعلين وقد اعتدناه كل مساء..لم يعد آسراً كما كان البته..كل شئ أصبح باهتاً..جافاً ولا حياة فيه..شحنات أملي التي ادخرتها استنفذتها لأتجاوز بها صدمة وفكرة غيابك عن حياتي للأبد ..وأنا بالكاد أستطيع الاستمرار دونك..حتى أنَّ

ابتسامة الدكتور الذابلة اليوم كانت تشبه تماماً تلك التي ارتسمت على محياه صباح رحيلك.. إنها الرسالة الرابعة عشر.. سأتركها تحت باقة الورود كما اعتدت ذلك طيلة الأربعة عشر يوماً من رحيلك..أخاف أن تزوريني وتجديني قد نمت ولهذا أكتب لك.. وسأفعل ذلك ما دمت على قيد الحياة ..إن لم تزوريني أنت يا عزيزتي سأزورك أنا حتماً قريباً..

# رحمٌ مَنسيْ

يضج هذا العالم بالبيوت.. تتفرق معالم تواجدها ..وخلف كل بيت منها ..قصة ما..تحتضنها الجدران في سرية وتطمس ظهورها للعالم الخارجي ...تتوارى خلفها الكثير من الأسئلة المبهمة..والإجابات فيها لا تتعدى حدود الباب .. ، كانت تنزوي في غرفتها المهترئة تنهشها الوحدة ..تتأمل المكان في صمت.. تحدق في السقف وكأنها تسائله وتنتظر منه جواباً..أدركها صياح الديك على ذاك الحال، أزاحت الوشاح الذي كانت تلتحفه.. ثم ملأت إناءً حديدياً ماءً وأشعلت نار الموقد و وضعته عليه بغرض الوضوء لأداء صلاة الفجر، استغلت فترة غليان الماء لتفك جدائلها وتُمَشِطَها، إذ تسلق الشيب كل شعرةٍ من رأسها، فتحت باب الخِزانة وأخذت منها قارورةً صغيره تضع فيها زيت الزيتون الذي كانت قد مزجته مع ورود مجففة، فتحت القارورة فانبعث منها عبير الورود, أخذت منها قليلاً وجعلت تُدلك به رأسها وتفرك بُصيلات شعرها ليستنى لها تسريح جدائلها الملتوية بسهولة، فعلت ذلك بتفانٍ مطلق، رتبت شعرها وأعادت ظَفرها من جديد، وما إن انتهت حتى سمعت صوت الماء يغلي، استندت على كِلتا يديها ودفعت جسدها لتقوم بكل ما أوتيت من قوه، تَقطب حاجبيها في ألم وأدارت يدها خلفها تتحسس

موضع الألم من ظهرها وكانت كل ما شارفت على الاستقام زادت حِدةُ الألم، تشبثت بزاوية الخزانة ومشت بضع خطوات نحو الجدار لتلتقط العصى التي تعلقها به لتتكئ عليها، فتلك العصى أضحت سندها الوحيد في تلك الغرفة..كانت الجهة المقوسة من العصى حانية الملمس..رقيقة اللُقيا..لكثرة اللقاءات التي شهدتها مع يد صاحبتها و رفيقتها، رمت كل ثقلها عليها و جعلت تعرج صوب الإناءن قللت من نار الموقد، وضعته مِنْ عَليه وأفرغت الماء الساخن في إناء بلاستيكي به ماء بارد لتجعله دافئاً متوسط الحرارة، التقطت عصاها من جديد واتجهت نحو الحمام تحمل الإناء بيدها اليسرى، أنهت وضوءها وعادت تمشي بخطوات متثاقلة وهي تردد أذكار الصباح..كان الهدوء يطبق على المكان إلا من وقع العصى وهي ترتطم بالأرض و تهدجات أنفاسها المتقطعة ..ارتدت حجابها الطويل وبسطت سجادتها في تركيز كبير وهمت بالصلاة بوضعية الجلوس، إذ لم تعد قادرةً على أدائها قائمةً.. لكثرة ما أنهكها ألم المفاصل وتباعد فقرات عمودها الفقري الذي أرجعه الطبيب لنقصٍ في الكالسيوم بسبب سوء المعيشة و ظروفٍ حياتية غير ملائمة..

وبعد أن فرغت من الصلاة، زحفت نحو طاولةٍ صغيره تضع بها الأشياء التي تستخدمها بشكل دائم، أخذت مِن عليها مسبحة بيضاء؛

ذهب بريق حباتها اللؤلؤيه وأضحت باهتة اللون والبعض منها فقد أحد أجزائه لكثرة ارتطام بعضها ببعض، كانت كقطعة عتيقه أو كشيءٍ تُراثيٍ شاهدٍ على حقيقة مَا أو قصة مَا، كحدثٍ لابد له مِن أَنْ يُوَثق..عادت إلى موضعها من السجادة وجعلت المسبحة في كفها الأيسر وقدمت إصبعَي السبابة والإبهام نحوها وكلما ذكرت الله مرةً سحبت حبة من حباتها جهة يمينها، وهي على ذاك الحال حتى تسللت خيوط الشمس تخترق فتحات النافذة في وقار حتى لامست السجادة..وما إن وقع نظرها عليها حتى تابعت مسار الأشعة بتأمل مستميت إلى أن وصلت للنافذة، فانعكست تلك الخيوط الذهبية على عينيها الْبُنيتين في أَلَق وبَدَتا أَخَاذَتَيْ الجَمال أسفل حاجبيها المترهلين وهي تحاول رفعهما من على عينيها، وبالرغم من تلك التجاعيد التي خَلَفَهَا الزَمان على جُلِ تَقَاسِيم وجهها دُون رأفة، إلا أنه لم يَنل من جمالها، كانت جميلة بكل روحها، تفاصيلها وابتسامتها الدافئة وهي تلتقي تباشير الصباح الأولى ..لملمت أغراضها في هدوء ورتبتها كما اعتادت ذلك، كُلٌ في مكانه..أعدت قهوتها الصباحية السادة وجلست على الكرسي ترتشفها في تأنٍ..تُجيل بصرها حول الغرفة..تتأمل زواياها بعينين فاحصتين, حتى توقفت عند الصورة المُعلقة على الجدار في إطارٍ زجاجي..نظرت إليها وكأنها تراها للمرة الأولى وقد تراكمت الأغبرة عليها حتى أخفت

معالمها..لم تجد نفسها إلَّا وهي تضع فنجان قهوتها على الطاولة، و البخار لا يزال يتصاعد منه..انتشلت مقعداً صغيراً وقربته للجدار، استندت على عصاها وصعدت عليه ..سحبت الصورة من المسمار المُقَوَف وعادت لمكانها على الكرسي وارتَسم على محياها حزنٌ صارخ اعتصر وجنتيها احمراراً..لم تكن لها شجاعة كافية لِكبح دُموعها..فانسلت تلك العَبرَة من مآقيها و سقطت على زجاج الصورة..خلّفت بقعةً عليه، جعلت ترسبات الغبار تنسحب لتُفسح لها المجال في إجلال..وتناثرت حولها رذاذ دقيق لامع..لم تلبث تلك العَبرة سِوى لحظاتٍ حتى انسابت تشق عباب الغبار المتكتل منذ سنوات خلت في صمود و مجابهة..حتى جفت في صمت قبل أن تصل إلى حافة الإطار...تلك الصورة التي أحيت ذكرياتها المنسية وأعادتها للأيام الخوالي..حين كانت فتيةً تزهو بشبابها المغمور..حين أحبته ومن ثم تزوجته إلى أن ترملت مع صبيٍ في شهرها السابع من الحمل..امتدت يدها نحو وجهه تتحسسه بأناملها..وكأنها تلومه على تركه إياها في منتصف الطريق.. تتآكلها الوحدة وتنهش فؤادها دون رحمه.. طفق فجأةً إلى خُلدها خيال ابْنِهما الوحيد وبث ذلك فيها الحنين والشوق إليه..تتساءل عن حاله و أخباره التي انقطعت منذ سنتين..عن طُول حفيدها أسامة إلى أي مَدى وصل وإِنْ كان يَملك عينين كوَالِدِه أم لا..اشتدت وطأة الشوق بها ولم تستطع مكابدة ذلك ..رفعت عينها مِن

على الصُورة وأعادتها لمكانها بتؤدة وقد خَلَصَت لِقرار أن تَزوره هي و تَصِلَ حبل الوِصال الذي انقطع.. وتملأ عينيها به وتقبله بقوة حتى ترتوي من الظمأ الذي ألَّم بأيامها العِجاف ..أخذت تُسرع خُطواتها وكأنها استعادت شبابها وملامح الغِبطة تَجتاح أساريرها.. اختلط عليها الأمر فيما إذا كانت سَتُحَضِر له الرْفِيسْ* الذي يحبه أم تباغته بالبَغْرِيْر* الذي لا يَطِيب له إلا من يَديها..مرت لحظاتٌ على ذلك..ولم تجد نفسها إلا وهي تَهم بتحضير كِلَيْهِما و تُعَدِدُ مُكوناتهما وتَقوم بترديد تسمياتها على مَسْمَعِها عدةَ مَرات، خِيفة أن تنسى أحدها ويفسد ذلك مفاجأتها التي تَعزِم عليها..

جمعت أشياءها التي ستسافر بها وقصدت المدينة وكلما اقتربت نحو وجهتها زادت دقات قلبها في عجل وكُل ما كان يجول بخاطرها ..متى يحدث اللقاء المنشود؟..لم تكن ساعات السفر البته لترهق كاهلها لفرط السعادة التي كانت تغمرها..تناست ألم المفاصل ولم تسمح لانحناءات ظهرها بأن تنغص عليها فرحتها العارمة..تَدَحرج الزمن بانسيابية هادئة و مَرَ من اليوم الشئ الكثير وها هي ذي بعد سلسلة من الاستفهامات عن العنوان أمام باب المنزل على بعد خطوات منها..مدت يدها اتجاه الجرس وضغطت عليه حتى تمددت عروق يدها وبرزت في وضوح..انطلق صوت أنثوي رقيق من داخل المنزل..

أسـاامة تفقـد مـن يـدق البـاب ! ليعقبـه صـوت طفـولي دافـئ .. حاضـر يـا أمـي! ، أمـي تعـالي، إمـرأة عجـوز تسـأل عـن والـدي ! انتظـر سـآتي حـالاً.. اندهشـت المـرأة لرؤيتهـا و جحظـت عيناهـا كأنهـا رأت شـبحاً.. ثـم حاولـت الخـروج مـن التيـه الـذي غاصـت فيـه و اصـطنعت ابتسـامة بـاردة وأدخلتهـا المنـزل ..ولجـت المـرأة صـحن الـدار في ورع ..وحـدث اللقـاء الـذي انتظرتـه بكل جوارحهـا وتخيلتـه مـرات كثر..طوقتـه بكلتـا يـديها وضـمته لصـدرها في وحشـة..قابلتها نظـرات فـاترة وابتسـامات شـحيحة ..كسـرت شـيئاً مـا داخلـها..قتلت روح الشـوق فيهـا، جلسـت تهـيم في مكـان لا محـل لهـا فيـه، انتهـى اليوم..أمضـت ليلتهـا في أرق وفي الصـباح وجـدت الـرفيس والبغريـر اللـذين أضـناها التعـب في تحضـيرهما في مكـب القمامـة..تأملت ذاتهـا للحظـات وكأنهـا تقـرأ نفسـها..أين هـي مـن عـالمهم..لم تجـد لهـا مكانـاً بينهم..كفكفـت عَبَراتهـا الـتي خـذلتها عُنوه..لملمـت شـتات ذاتهـا وعـادت أدراجها تجـر أذيـال خيبتها..لغرفتهـا الـتي قاسمتهـا مـر الحيـاة وحلوها..التقطـت وحـدتها تاركـةً فؤادهـا.. هنـاك.. بجـوار وحيـد رحمهـا الـذي أضـحى منسـياً الآن.

---

الرفيس و البغرير ..أكلات تقليدية جزائرية

# أكسجين قاتل

ككل ليلة من ليالي حياتي الحالكة قبل أن ألج مخدعي، أسمع وَقْعَ أقدامهم تَصِّر في أزِقة الشارع الموحش..أحبس أنفاسي و أتكور داخلي تحت لِحافي ..أرتجف في فزع و يتصبب عرق بارد على ناصيتي..أتوجس خِيفةً ..وما إن أحس بأنهم رحلوا وتجازوا منزلي ..أزيح اللِحاف بهدوء و أترجل على أصابع قدمي في ترقب..أنظر مِن خلف ستار النافذة إلى الشارع..لألمح عمُودَ الإنارة يَتَدلى مصباحه .. تآكلت قاعدته تماماً ..تلاشت صبغته وتلاشى معها المعدن أيضًا ..إلا أنَّ إضاءته كانت كافية لإنارة حياة كائنٍ بائس مِثلي ..هو مصدر إلهامي وأملي..ولا يطيب لي خاطر إلا برؤيته ..

بعد أن أستيقظ كُل صباح أهرع صوب النافذة..فأجده صامداً شامخًا .. تغمرني الغِبطة وأتشرب من الأمل ما يكفيني لأعيش يَومي ..أرى دائمًا وجه السعادة في عمود الإنارة ذاك .. هذا الاعتقاد لم يَكن محض الصُدفه ..اِكتشفت ذلك بنفسي..يَقول والدي ’’ تَمسك بالأَمل يا بُني..الأمل وَحده من يُعلمُك كيف تَعيش .. الأمل يُبقيك على قيد الحياة ’’..منابع الأمل شَحيحة هذه الأيام..لهذا أشعر دائمًا بأنِّي شخصٌ محظوظ ..

دأبت على طريقة والدي في الحياة؛ لأن فرصة الإختيار غير متاحة ..واِخترت العمل في معملٍ لِصقل الحِجارة..خيبتُ أمل والدتي في أن أكون مهندساً ناجحاً وتتفاخر بي أمام جارتها "زُبيدة "..يا لَأُمي المِسكينة ! لا تدري أن ابن الجارة ما كان ليكون كذلك لو أن الحياةَ لم تهبه خالهُ الذي هاجرَ به إلى ما وراء البحر..هُناك !..خَلف البحر يَحدثُ السِحر..كُل الأمور العظيمه تُوجد هُناك! كُل ما فَتحتْ الموضوع تَبكي مِلئ مقلتيها, حتى صِرت أتفاداها حين أستشعر رغبتها في الحديث عن مستقبلي..لم أجد كيف أقنعها بأنِّي أحمل شهادةً أحسنَ من تلك التي حازها ابن "زُبيدة " وأن جُغرافية المكان وحسب هِي من تَحول دون ذلك..يمتلئ فاهي بالكثير من الكلمات والخيبات.. لكن شيئًا ما يَمنع مرورها لشفاهي..أبتلعها بصمت فيتجرعها حلقي على مضض..يحدث هذا دائماً..لهذا اعتدت الأمر وحلقي أيضاً..أتأثر في البداية ويهتز كياني ..ثُم أنساق نحو المعمل وأنسى حينها بأنِّي على قيد الحياة أو حتى أني كائنٌ مرئيٌ للعَيان..أختفي كُليةً في خِضَّم الأحداث تِلك ..الحياة في المعمل أشَّدُ ظُلمةً من رُؤيتي لمستقبلي ولا أعتقد أنه يجوز لي وصفها حتى بالحياة..كل ما يمكنك ملاحظته هناك مجرد كتلٍ آدمية تتحرك وفق تعليمات رب العمل..يأتمرون بأمره وينتهون بنهيه..بالكاد تلمح شخصان

يتحدثان مع بعضهما ولا حتى لأمرٍ يتعلق بالعمل..تتحرك العربات اليدوية في عَجل .. ترتفع الجلبة

و ينتفض الغُبار في صخبٍ مُخلفاً معه الكثير من السعال والأصوات المختنقة ومن استبد به الأمر يسقطُ مغشياً عليه نتيجةً لأزمة تنفس..فيأمر رب العمل من اثنين أن يتركا مِعوليهما ويُخرِجا الشخص المغميَّ عليه خارجاً.. يفعلون ذلك ببرود ويستأنفون عملهم ببرود أيضاً..تحمل الأغبرة الدقيقه ذرات السيليس البلورية السامة الناتجة من تكسير الحجارة.. تندس بخبث في الهواء ثُم تتسلل في مكر إلى الرئة لِتعيث بها فساداً.. فلا تترك فراغاً بها إلَّا سكنته وحطت به رِحالها كمستعمر يغزو منطقة ما.. تستبيح أسناخها ..تنتهك حرمتها وتجعل من عملية أكسدة الأكسجين مُضنيةً في ظروفٍ كهذه..الكثير منهم ينتهي به الأمر في زاوية ما مربوطاً بقارورات الأكسجين ..ينتظرون الموت الأكبر في ترقب ليجمع كل أشلائهم التي سبق وقضت نحبها..معايير السلامة في المعمل مزرية بشكل بائس..ولا يمكن أن تتفادى الغبار الدقيق إلا بوجود أقنعة حساسة تمنع نفاذيَتها للجهاز التنفسي ولأنها ذات الاستعمال الواحد يجد المعمل في ذلك تكلفة لا فائدة منها..وحده رب العمل من يستخدمها .. وكل من يعترض على ذلك يُلقى خارجاً ويُعوض بغيره من الكادحين الذين لم يحظوا بفرصة لاستيطان رئاتهم من أجل إطعام أطفالهم ويكون المتمرد

بـذلك عـبرة لكـل مـن يفكـر بالانتفـاض ونـادراً مـا يحـدث ذلـك ..لا أدري لِم يبدو لي بـأن رب العمـل يشـبه إلى حـد مـا أولئـك الـذين يترجلـون لـيلاً ..يختلف عنهم فقط في أن دوامـه نهـاراً وهـم لـيلاً.. لم أتجـرأ يومـاً علـى النظـر في عينيـه.. كلمـا سمعـت وقـع خطواتـه أسـرق نفسـي دون أن ألفـت الانتبـاه وأنزوي بعيدا عنه..

ينتهي العمل قبـل لحظـات مـن المغيـب ..أحمـل شـتات ذاتـي المُنهـك وأقصـد المنـزل.. وأنـا تحـت رحمـة الأفكـار تعصـف بـي تـارة في غياهـب الضـياع وتنتشـلني تـارة أخـرى.. وأنـا علـى ذاك الحـال حتـى أراه مـاثلاً علـى بُعـد خطوات مِـني.. شـامخاً مُتبجِحـاً ..لم يـثن الإنحـاء عزيمتـه ولم يخـدش مـن كبريائـه شـيئاً.. أنتشـي لرؤيتـه ولا أغـادره إلا وأنـا علـى قـدر لا بـأس بـه مـن الغبطـة..تفترش الظلمـةُ الأرضِ تـدريجياً.. فيُسـدل الليـل سـتاره في وقـارٍ مُعلنًـا نهايـةَ عصـرِ النـور وبدايـةِ عصـرٍ جديـد؛ سـيده الظـلام ..اِنفـردت إلى غـرفتي ..ألقيـت بكامـل ثقلـي علـى السـرير حتـى أحسسـت بطقطقـة في عضـلاتي .. حاولـت جاهـداً الخلـود للنـوم إلا أنـه جَفـاني وهجـر مضـجعي؛ حتـى صـرت أتقلـب يمينـاً وشمـالاً عَـلَّ النُعـاس يَـرق لحـالي ويزورني..فوقـع نظـري علـى طاولـة أضـع عليهـا عـادة الكتـب الـتي تسـتميل فضـولي حـين يعرضـها الباعـة المتجولـون؛ فـلا أجـد نفسـي إلا وأنـا أسـاوم البـائع علـى بعـض الخصـم الـذي ينجـيني مـن عتـاب والـدتي و حرصـها الشـديد علـى

تـوفير المـال مـن أجـل ضـمان مسـتقبل شـريف كمـا تقول..لفـت انتبـاهي كتـاب كنـت قـد قـرأت بَعضـه إلا أنـي أهملتـه ورأيـت في ذلـك الآن فخـاً لنفسـي لتنام..اسـتأنفت الجـزء الـذي توقفـت عنـده وانغمسـت في صـفحاته ورحـت أجـوب شـوارعه بتأمـلٍ مسـتميت..أتوقف عنـد كـل مشـهد يأسـرني في عَجب

وفجـأة قـاطع الجـو الحميمـي الـذي كنـت أعيشـه صـوت الكـلاب الـذي كـان يقـترب رويـداً..لا شـك أنهـم قـادمون..هم هكـذا دائمـاً مـذ كنـت شـيئاً صـغيراً وأنـا أسمـع وقـع أقـدامهم الصـاخبة في الهزيـع الأكـبر مـن الليـل..كبرت معهـا ..كـذلك فعلـت مخاوفي..بعـد كـل اسـتنفارات غيرمُعتـاده تنتشـر الشـائعات في الصـباح عـن اختفـاء أحـدهم في ظـروف غامضـة ولا يُـرى لـه أثـر بعـد ذلـك..تكثر الثرثـره ..تُتَناقـل الأقاويـل وتَختلـف الـرؤى والخلفيـات حـول الحادثـة, لكنهـا تتفـق بـالأخير في شـيءٍ واحـد.. أن كـل الإجابـات تلتقـي في مفـردة ''هُـمْ''.. حينهـا تُلجـم الألسـن, تُطبـق الشـفاه ويعـود النـاس لعـالمهم سـعياً خلـف الرغيف..تسـتمر الحيـاة ويسـتمر العبـث معها..

تركـت الكتـاب جانبـا و سـحبت نفسـي بهـدوء نحـو النافـذة أتحسـس الشـارع..لا أثـر لهـم .. يكـاد الشـارع يخلـو مـن الحيـاة إلا مـن قطـةٌ مشـرده تتلـوى بعمـود الإنـارة.. و كـيس أسـود يرفعـه الـريح العاصـف حينـاً ويمرغـه

بالأرض أحيانا كثيرة.. حتى استقر به الأمر عالقاً بالمصباح..فحجب نوره وشعرت بطريقة ما أنَّ الأمر يُضايقني .. ارتديت سترتي وخرجت إلى الشارع وما إن لامستني النسمات الباردة حتى سرت رعشة بجسدي..تفحصت المكان بنظرة عابره..استجمعت شجاعتي ودنوت من العمود أتحرى طريقة ما لِأُزيح الكيس من على المصباح وأنا كذلك..سمعت وشوشة بعيدة المدى بدت لي مريبة..تتبعت مصدرها إلى أن وصلت للضفة الأخرى من الشارع ..وكانت دهشتي حين رأيتهم !

شعرت بتدفق الأدرينالين يسري في عروقي ويتمدد ..كانوا يقيدون أحدهم من يديه واقتادوه نحو شاحنة غير مكشوفة ..لم يكن وحده..كان عددهم معتبرا..في البداية لم أتميز وجهه لأن الإضاءة الخافتة حالت دون ذلك ..لكن بعد أن تفرسته جيداً ..أدركته!

إنه لا شك حسن ابن الحداد..نعم، هو كذلك..أعرف حسن جيدا وعيني لا تخطئه البته !

جعلني الموقف أتجمد في مكاني وأفقد قدرتي على الحراك ..وحدها السِيالات العصبية الصادرة من دماغي من كانت في حالة طوارئ ..تُحدث الفوضى داخلي.. ورحت أعيش سيناريوهات وأتخيل حال والديه حين يكتشفان أمره وما سيكون موقفهم مني إن عرفوا بأني كنت

شاهداً على ذلك ..شعرت بالضياع وأنِّي أسقط في هوةٍ سحيقة لا حدود لها, و أغرق في فضاء مظلم..

ركب المُتَرجلون منهم المركبات وانطلقوا ..كان ثِقلي يزداد ومَشيتِي تترنح ..وصلت بصعوبة للمنزل..تسللت في هدوء كي لا أثير الضجَّة ..ولجت غرفتي وأنا في حالة من البؤس تكفي لجعلي أفكر بالاِنتحار..تحررت كل ذكرياتي السيئة فجأةً.. واجتاحت كياني بوحشية ضاريه ..ضغطت بِكِلتا يديَ على رأسي عبثاً أحاول تكميم صراخها دون جدوى..سقط رأسي على الوسادة يتوسلها نوماً ..خَلَّف سقوطه انكساراً مُدوياً..تبعثرت أفكاري في المكان.. تلطخت بها الجدران..الأرضية والسقف ..وأخذت تَنساب بمكرٍ على ناصِيَتي ..المعمل ..رب العمل ..وقع أقدامهم..السيليس..حسن ..الأصوات المختنقة..وجه والدتي...

لم أجد منها مهرباً إلا بالعودة للكتاب عبثاً عَلَّه يلملم ما بي من شتات..شرعت بتجرع الكلمات على مضض لتزيل ولو بعض المرارة من حلقي..حتى وجدتني أغرق فيه بانسيابية وخفة رويداً رويداً حتى وصلت لمقطع يقول الكاتب فيه ”دع الناس مطمئنين .. لا تفتح أعينهم .. و إذا فتحت أعينهم .. فمالذي سيرونه .. بؤسهم ؟؟ دعهم إذاً مستمرين في أحلامهم .. إلا إذا كان لديك عندما يفتحون أعينهم .. عالماً أفضل من عالم الظلمات الذي يعيشون فيه الآن" *.. أعدت قراءته

تِكراراً من المرات وأنا أتلوه على نفسي وعقلي التجريبي يخوض مغامرة حياكة السيناريوهات كعادته.. هذان السطران خدشا مادتي الرمادية.. تحركت العصبونات في عجل..جعلتني أخْلِص إلى قرار حاسم ..لا بد منه ولن ينقشع الضباب إلا به..تخدَّر عقلي من التفكير ..استسلمت للنوم وأنا أحتضن الكتاب ..

اِسيقظت باكراً..خرجت من المنزل..لم أر الخيبة على وجه والدتي..ملأت رئتي عن آخرهما بأكسجين منعش..تأملته مُلهمِي للحظات..ابتسمت واتجهت صَوب المعمل أحمل قراري في ورقة داخل جيب سترتي الداخلي..أتفقد مكانه من حين لآخر..فأجده في مأمن..أواصل سيري..انتظرت خارجاً كلما وصل عامل بالمعمل جذبته جانباً ..حتى آخر عامل منهم ..أخرجت الورقة ..تفرست وجوهم ..سحبت الورقة في رويه..فتحتها وأخذت ألتهم السطور بنهم ..خُضت مغامرة الخِطاب لأول مرة في حياتي..كان أمراً سهلاً وحماسياً بعض الشئ .. ختمت كلامي قائلاً " ربما آن الأوان لنفتح أعيننا..ينتظرنا عالم علينا إنارته..وإني لأتوسم فيكم خيراً "

تدحرج الزمن سريعاً..حلّ المساء..وانتصب الظلام قائماً حاملاً في طياته ريحاً قويه؛ جَعلت مصباح العمود يترنح في ألم صامت جعل قلبي يخفق دون هواده.. صوت الكلاب يقترب من بعيد..وقع أقدامهم..إنهم

يقتربـون شـيئاً فشيئاً..شـخص مـا يُصـوب مصـباحاً يَـديويا نحـو نافـذتي..باب المنــزل يهتز..تَهــبُ الــريح الغاضــبة في سخط..يســتمر عبــث الســيليس..لم يَسقط المصباح..

---

- مقتبس من رواية زوربا اليوناني للكاتب نيكوس .ك

# رؤيةٌ في الظلام

اِستيقظت كعادتي على وقع صوتِ ديكٍ اصطناعيٍ مزعجْ لِيخبرني بأني على قيد الحياة مجدداً.. أفتح عينيَ بتكاسلٍ وأتحسس نبض عضلةِ قلبي فأجدها مصرةً على ضخ الدم بشراييني.. أُحاول تحريك أطراف بدني فأشعر بثقلها يحُول دون ذلك.. أتقلب في سريري عشرات المرات وأنا أرسم وأتخيل سيناريوهات يومي وكيف عليَ أن أتجاوب معها..تُرهقني الأفكار .. أحاول عبثًا إنهاء الصراع مع نفسي أرمي الوشاح بعيداً لأضع حداً لأملِ العودة إلى النوم..يرتعش جسدي الهزيل و رِجليّ تُلامسان الأرضية..ثَم يَطفق فجأةُ إلى أذني بعض الكلمات و تستحضر ذاكرتي صورةً لصاحب بذلة سوداء يتوسط رجال القرية ..كان صوته خشناً يُحاول دمجه بالمستقبل المشرق كنت حينها شيئاً صغيراً وقد اِحتفظت ذاكرتي الغضة بتفاصيل متناهيةِ الدقه ..هذه هي لَعنتي؛ ذاكرتي.. لا تَزال غضة بِالرغم من تحولِ كاملِ غضروفي إلي عظمْ.. " قريتكم جنة، كل ما ينقصها تَزويدها بغاز المدينة و إنِي لأَحسَبُكم مِن مَن يُشهَد لهُ بولائه للدولة ..الدولة أولاً ..ولِكي نتأكد مِن وَلائِكم، عليكم بِخَتمِ بِطاقاتِكمْ الورديه في الميعاد المقرر " تَشعر ذاتِي فجأةً بالتقزز و تُحاول تغيير المشهد ..تبًا، لِم عليك فِعلُ ذلك بِي .نعم.. نعم..

مَضى عَلى ذلك عِقدٌ مِن الزمن و مازلت أشعر بالبرد.. أخبرتكم ذاكرتي هي لَعنتي، كُلما شعرت بالبرد لسبب ما تُذكرني بصاحب البذلة السوداء..هكذا.. جعلتني أكره البذلات السوداء، تجعلني أتقزز.. أُفكر أحياناً، لِمَ لا يرتدي الناس بدلات رمادية .. لكم هو رائع هدا اللون ! تمامًا بين البينين.. أسرفت بالحديث عن اللون الأسود ، لكن لا ذنب لِي بالقصة، كل ما في الامر أنِي أُعانِي عقدةً نفسية اتجاهه.. تباً! اِنسكب كَوب قهوتِي مرةً أُخرى على صحيفة مشهورةٍ بالبلد ، لكن مَن يحاول تعكير مزاجي ! ألا يعلمون أنِي أكره الصحفَ ذاتِ الحبرِ الاسودْ ! ..لا تَستغربوا أَمري ولأَن مزاجِي أصبح بائسًا بامتياز جَعلت دُون وعيٍ مِنِي أُتابِع بِتأملٍ مُمِل مَسارَ القهوة وهِيَ تَسلك طريقها على الصحيفة ..تَتوقفُ عِند عُنوانٍ عريض ..أحاول فتحَ عَيْنَيَ مُجهدةً لِتهجئَةِ الحُروف...عِ شْ رُ وْ نَ مُ هَا جِ رًا فِي مُقتبل العمر يَرمي بهم البحر في ساحل... يا للقهوة البائسة ! كانت أسرع مِنِي في قراءةِ العُنوان .. لقد جعلت مِنْ مِزَاجي أكثر حِده .. سَتريْنَ ما سَيَحِلُ بكِ؛ سَكبتُ ما تبقى من الكُوبْ وَجعلتُ مِنهَا كرةً ثُمَ اِستخدمتُ مَهاراتِي بالتصويبْ لِأُلقِي بِها في سلةِ مُهملاتِي الرمادية ..في الحقيقة، أنا لستُ سيئةَ الطَبع..لا؛ حتَى إِنَك لن ترى في سلة مهملاتي لوناُ مِمَا أَرميه بِهَا غير الاسود !.كَما أنِّي أحرقُ المُلونَ مِنهَا غيْر الأسودِ، لِأَجعلها كذلك! إِنّها مسألةُ أُسلوبِ حياه!

أنـا فِعـلاً أُحـب الألـوان، مُشـكلتي مـع اللـون الأسـود؛ حتـى أَنِـي أحـتفظُ بِصـورٍ لقـوس قُـزح بِهـاتفي و أِضـع إِحـداهَا كَخلفيـةٍ لَـهْ.. يعتبرنـي وَالـدي أُضحوكة وَأَنّـي بِحاجـةٍ لطبيـب نَفسـي .. لَكـن لَـو تـأملتم المَوقـف مَعِـي مِـن بَابٍ عِلمـي أَلـيسَ النبـاتُ كَمنـتجٍ أول في هَـرم السِلسِـلة الغذائيـة فِـي غِنًـى عَـن هـذا اللَـون ..لا، بَـل وُجـودهُ يَخفـضُ مِـن فُرصـة الإنسـان في الحيـاة, أترون! أنا شـخصٌ سـليمٌ جـداً..مازلت أهـتم لأمـرِ السـاحل تُـرى أَيُـهُ يكـون أَهُـو المُعتـاد أم أنـه آخـرٌ حـديث؟-تُـرهقني الأسـئلة- رُبمـا قـد تتحـدث المَحطات الإذاعيـة عـن الأمـر أُفكـر في نفسـي أخرجـتُ المِـذياع مـن صـندوقٍ كَرتونيٍ كُنتُ قَـد وضـعتهُ قَبـل سـنتين حِـين قـررت الـدُخول في عُزلـةٍ طويلـةِ الأَمد..كَان تَـأثير الـزمن واضـحاً عليـه وقـد مـلأ الغُبَـار كُـلَّ تَشـقُقٍ بِـه لَكـنّ ذلـك لَـم يَمنـع مـن اِشـتغاله ...مرحـى للصـناعة الأُوربيـه مـدة صـلاحيتها تشبه الى حـد مَـا الأمـلَ ببلـدي.. كلاهمـا عنيـد وصـامد في وجـه الظـروف ! لا أَسمـع شـيئًا عـن اِسـمِ السـاحل ..تتبـاين الأنبـاء حـول حالـة الطقـس و الجدل القائم حـول حضـور الفنـان المبجـل مـن عدمـه بسـبب حالـة الطقـس المضـطربة..لا لا، لا يُمكـنني ذِكْـر اِسمـه ، اِقتربـوا لِـأَهمس لَكـم: إنَـه مِمَـن يَرتدُون البـذلات السـوداء! لهـذا أَمنـع نفسـي مـن تَهْجئـة حـروف اِسمـه.. أف! مازلـت علـى قيـد الأمـل ،إِلا أنَّ المُذيعـة تُصِّـر بِتكرارهـا المُمِـل عَلـى جَمـال الحيـاة وَهِـي تُـردد كَلمـات "ديـل كـارنيجي" رائـدِ التنميـة البشـرية الـذي

مـاتَ مُنتحـراً مـن اليـأس!- سـاعةٌ تمُـر- لا أخبـارَ عـن السـاحل ..أتكـون الصـحيفة قديمـة ؟ رُبَمـا مَـنْ وضـعهَا بِغرفتِـي كـان يَهـدف لبعثـرةِ أفكـارِي المُشردة!..عَلَى كلٍ رأفةً بِـي يـا ذاكرتـي لا تُرهقـي كـاهِلي بعـد ..دعينـا نتجـاوز الأمر ..

الأسـبوع الثـاني علـى التـوالي وأنـا أقبـع بغـرفتي..لم أذهـب للجامعـة ولم ألتـق أحـدًا ..حتـى إخـوتي! صـحيح أننـا نشـترك في أخـوة بيولوجيـة بحتـه وجغرافيـة المكـان أيضًـا إلا أننـا لا نشـترك نفـس المشـاعر .بالكـاد نتحـدث ..لا،لم أتساءل يومًا عـن السـبب ولـن أفعـل .. أنـا شـخص عاطـلٌ عـن الحيـاة الاجتماعيـة ولا أَصـلح لهـا البتـه ..هـه.. موقـفٌ طريـفٌ يحضـرني..حين كنـت عند حضرة الطبيب .يقـول أنـت تعـانين مـن حساسـية غريبـة يـا اِبـتني وأنِّـي سأضـطر لإخبـارك بالِابتعـاد عـن التجمعـات؛ سيسـوء أمـر صـحتك وقـد نعجز عن السيطرة عليـه لاحقـاً ..يـا للأطبـاء! كـم يحبـون المُبالغـة، لا أعلـم مـا كان يقصده بقوله إلا أنه كـان يبـدو صـادقاً ومقتنعـاً ممـا كـان يقـول, إلا أنـه لا يعلـم أَن التجمعـات أَيـن تَكثُـر الثرثـرة تحـت شـعار حريـة التعـبير هـي مـا يُسبب لي حساسية مفرطـة ومـا يجعـل مـن جزيئـات الهيسـتامين تعيـث فسـاداً بجسـدي..يعتريني ملـل قاتـل..أقرر فجـأةً سـرقة نفسـي في محاولـة يائسـة مِـني للخـروج مـن رقعـة العزلـة الـتي وقعـت في غرامهـا بكـل مـا أُوتيـت مـن خلايـا دماغيـة .. حاولـت هجرهـا وإعـلان اِنفصـالنا .. اِرتـديت أشـياء أنيقـة

وبخخت نفسي بزجاجة عطر LA VIE EST BELLE، كنت مستعدةً للقاء الحياة .. للبحث عن أمل يجعلني أقع في حُب الحياة مجدداً..لم أختر وجهةً محددة ..ركبت الحافلة ..اِخترت مقعداً بجانب النافذة ليتسنى لي تأمل مشاهد الحياة خارجاً بشكل أفضل.. وأنا في غمرة من التفكير رأيت فتاةً سوداء كانت تتحين فرصةَ توقف السيارات عند الزحمة لتطلب منهم بعض الصدقة، واضحٌ أنَّها من المهاجرين الأفارقة..ثم تسقط منها قطعة نقدية فجأةً، وأخذت تدور بشكل دولابي لتتوقف عند منتصف الطريق..كانت ملامح الدهشة والخوف تسيطران على براءتها كلما حاولت اِلتقاطها يُجهَض حُلمها الصغير بسيارةٍ جنونيةِ السرعة ..فتعود خائبة ..كان يبدو كمشهدٍ من فيلم تراجيدي حين تُجبرك الصورة على ذرف الدموع دون وعي منك ..لكنه لم يكن كذلك البته ..كانت كلٌ من المارة وأصحاب السيارات يرمقونهم بنظرة مُشمئزة ولا يتوانون للحظه بالتقليل والإنتقاص من طبيعتهم البشرية .. تسألني نفسي أين هم أولئك الذين يتغنون بالإنسانية أمام صورةٍ لطفل أسود في مواقع التواصل الاِجتماعي، رثُ الثياب.. جعلت المجاعة من أضلاعه بارزة، يمكنك عَدُها ببساطة! هُم مجرد لوحاتٍ حية تُستخدم للمتاجرة بالإنسانية ..لا أعلم لم لا يتركني اللون الأسود أعيش بسلام..كرهت الموقف ..شعرت بشيءٍ ما يقبض على صدري.. لَعنت اللحظه التي قررت فيها

الخـروج إلى الحيـاة.. كنـت أختنـق صـراعي مـع السـواد لـن ينتهـي ..كانـت فكرةً ساذجة حين غـادرت غـرفتي ..صـوت صـاحب البذلـة يخـترق أذنـي عُنـوةً ..اسـم السـاحل..الطفلة اللاجئـة ..شـيءٌ مـا يبتلـع الشـمس .. يختفـي نـورُ الصباح ..

## السيرة الذاتية:

وفاء بقاش

أستاذة لمادة علوم الطبيعية والحياة

كاتبة قصص قصيرة،

مهتمة بالفكر والأدب خاصة الأدب الروسي

وعلى رأسه الكاتب الكبير "دوستوفسكي"،

فزت بعدة مسابقات وطنية وعربية للقصة القصيرة،

لي مجموعة قصصية ورواية لم تنشر بعد

بخصوص الطابع الأدبي :

يستهويني الفن الروائي والقصصي الذي يعالج قضايا الواقع والتي يخرج القارئ منها بفكرة ولو بسيطة عما يجري في الواقع العميق للمجتمع. أطمح لأن أكون كاتبة ذات صيت وصاحبة رسالة أفيد بها مجتمعي وأمتي..

# الفائز : خالد وزيري

# الكنز

استيقظت بعد منتصف الليل على صوت خبط ورزع في المنزل المجاور للإستراحة التى اقيم بها. حاولت تجاوز الأمر لكنى لم استطع، فقررت النداء على هؤلاء الجيران فلا يوجد غيرنا يقيم بالشارع. لم يرد علي أحد لكن الضجة سكنت. عاد الخبط من جديد وبصورة أعلى بعد أقل من نصف ساعة. لم يعد من الأمر بد. لبست ونزلت واخذت معي سلاحي المرخص. وتحقيق الشخصية تحسبا لكل الإحتمالات. طرقت الباب، سكنت الضجة، وبعد عدة دقائق وعدة طرقات، خرج لي رجل اكبر منى قليلا يقترب من الستينات ربما أصغر لكن الزمن فعل به الكثير. كان عليه آثار أتربة وعلى وجهه علامات إرهاق. افهمته انى الموظف المقيم باستراحة البنك الملاصق لمنزله، واعتذرت له بأنى عندي عمل صباحا ولابد ان أنام. وطلبت منه التوقف عن هذا الخبط. لم يزد على عبارة معلش استحملني شوية. قالها بنبرة فيها ضعف واستسلام وكأنه مجبر على مايفعله، وليس لديه فرصة لمجرد الوعد. أثرت في نظرة

الاستسلام والقلق التى بدت عليه. عدت إلى فراشي ولم يتوقف الدق إلا عند الفجر.

تعجبت مما جري خاصة وانه تكرر يومي الاثنين والثلاثاء. لم يعد من الممكن السكوت اكثر من ذلك. كررت النزول إليه هذه المرة وفي نيتي أن تكون النبرة أعلى وكلي إصرار على أن يتوقف. من فرجه في الباب تبين لي أن المنزل شبه مهجور والرجل يعيش فيه بمفرده( هذا ان كان بالفعل يعيش فيه) بدا الرجل أكثر حدة، ونافد الصبر. غير قادر على إقناعي، وغير قادر على الوعد بالتوقف، وعاجز عن أن يشرح لي. عند لحظة معينة ارتفع صوتى وهددته بالذهاب لمركز الشرطة. تغيرت ملامح وجهه على الفور، وتوسل لي أن اتوقف، ودعاني للدخول. اخرجت سلاحي وامسكته في يدي. جلس الرجل امامي على الاريكة الوحيدة، ودعاني للجلوس على كرسي بلاستك قديم (يبدو أنه منذ اختراع البلاستك) فيما يشبه للصالة.

من جلستي استطعت أن المح طرقة طويلة تنتهي عند غرفة مفتوحة الباب وبها آثار حفر.

قلت للراجل: فيه أيه ياعم الحاج انت بتحفر تربه ولا أيه؟ فرد الرجل بنفاد صبر شئ من اليأس : أيوه بحفر تربه.

لم يطل الصمت بيننا. كان الرجل قد استسلم ويريد ان ينتهي من الصداع الذي اسببه له، وعلى استعداد أن يبوح بالسر.

تركنى الرجل ثواني ثم عاد ممسكا برقعه من ورق غريب كما لو كان مصنوع من قماش او خيش. ثم قال لي أن هذا المنزل كان لجد جده وهو كان أحد أعيان هذه الناحية. وقد نما إليه أن الإنجليز في حربهم مع محمد على وأثناء الاعداد لحملة فريزر عام 1807 قد اتفقوا مع بعض الأعراب على معاونتهم وأرسلوا لهم مالا من اجل ذلك. فخرج جده الأكبر مع بعض الأهالي وقطعوا الطريق على هؤلاء الاعراب واستولوا على ما معهم من مال وهو عبارة عن 500 خمسمائة قطعة ذهبية وزن القطعه نصف أوقية. واستأمنه الناس على المال لتسليمه إلى الحكومة أو توزيعه عليهم. وقام جده باخفاء هذا الكنز في صندوق خشبي.

سحبني الرجل للجلوس بجانبه على الأريكة، وعرض علي القطعة المتهالكة وقد كتب عليها بالحبر الأسود مايشبه الوصية، وفيها تفاصيل ماجرى، وأن المال مدفون على بعد مترين أسفل السرير الذي كان ينام عليه هذا الرجل في الغرفه البحرية من منزله الكبير.

لكن انت متأكد ياعم الحاج أن الغرفة اللى بتحفر فيها دي هي اللي مدفون فيها الكنز؟

نظر لي الرجل وكأنه اكتشف وجودي لأول مرة، وقد بدا عليه بعض الهلع والارتباك تقصد أيه يا أستاذ؟ ماهو أصلا مافيش في البيت غرفه للنوم إلا دي.

طيب وهو ده طبيعي؟ جدك كان كبير هذه الناحية، وعنده مئات الافدنه كما هو ثابت بالوصية، وعنده خدم وعبيد مش ممكن يكون هو ده البيت. مافيش بيت تاني؟

احنا ورثنا البيت ده ابا عن جد.

اكيد الموضوع فيه سر، ممكن توريني الحفر؟

وجدت ان الرجل نزل اكتر من مترين، وتقريبا بمساحة الغرفه كلها، قلت له مستحيل ان تكون هذه غرفة واحد من الأعيان في ذاك العصر. الغرفة صغيرة جدا ولا تكفي حتى احد خدمه، ومعنى أنه يقول الغرفة البحرية أنه كانت هناك غرف قبليه فأين هي؟

سكت الرجل وبدت عليه الحيرة، ثم قال بنفاذ صبر وكأنه يعيش كابوس غير مصدق: يعنى أيه مافيش دهب؟ يبقى اروح اموت احسن. اصبر بس ياحاج واستهدى بالله. من ناحية فيه دهب أكيد فيه، لكن فين؟ المهم نعرف. والموضوع ده لازم نشتغل عليه في السر انا وانت بس. يعنى هنشتغل إزاي مش فاهم؟

الأول محتاجين نعرف حدود البيت القديم، ونحدد مكان الغرفة البحرية، وده محتاج شغل مش هين، وبعد مانحدد المكان محتاجين نعرف نحفر ونوصل للكنز، والكلام ده محتاج خطة منظمة وعمل في السر. فوضع الرجل يده على كتفي وقال تأكيدا أيدي على كتفك، واللي يطلع بالنص. أنت النص وأنا النص.

فاهتميت أكثر بالأمر وقلت له: عندك أي اوراق تاني من بتاعت جدك فقالي بكره اجيبلك كل اللي لقيته.

لم استطع النوم، وفي الصباح أرسلت للبنك أجازه ولحسن الحظ كانت نهاية الاسبوع تقترب. جلست انتظر إتصال الرجل الحفيد الباحث عن كنز جده. ولم يطل الانتظار. دعانى لنفطر سويا وبدا هادئا على غير ما رايته من قبل، ثم ألقي إلي بحمولة كبيرة من الأوراق كما لو كان يلقى عبء الموضوع كله علي، وذكرني على الفور بتصرفات البعض في العمل. أمضيت عدة ساعات لا أعرف عددها وأنا أقرأ وابحث في كل ما تركه الجد الكبير. ثم قلت للرجل بعد العصر:

تعرف أن الأوراق دي في حد ذاتها كنز وثروة لا تقدر بثمن! لم يبد على الرجل اهتمام لكنه قال تشتريها بكام؟

مش كل حاجه ياحاج تتقدر بفلوس، الأوراق دي فيها تاريخ المنطقة وانت من حقك تفتخر بجدك. جدك وقف مع أعيان دمياط ومنعوا

نابليون ان يدخل المديريه واجبره يغير خططه وينزل في اسكندريه، وبعد خروج الفرنساويين شارك ومول ثورة الازهر على خورشيد باشا وكان واحد من 300 من كبراء الدولة المصرية اللي بايعوا محمد علي، وشاركوا في تثبيت حكمه.

يا أستاذ سيبك من الكلام ده. لقيت حاجه توصلنا للفلوس للدهب؟ بص احنا قطعنا شوط كبير، محمد على صادر اراضي واملاك جدك بعد اعتراضه وارساله خطاب لمحمد علي يعترض فيه على اعتقال مشايخ الازهر. وترك له البيت ده فقط. بعد اقتطاع الحديقه اللى كانت بتحوط البيت من الجانب البحري. فيه كمان هنا عقد ان جدك قبل وفاته باع جزء من البيت متحدد فيه الحدود والمعالم بدقه. العقد ده هو الاساس لأن فيه تفاصيل البيت الكبير. كمان فيه هنا إقرار باعتاق زوجين من العبيد في هيئة رسالة موجهة لمدير المديرية وفيها عبارات شخصية فهمت منها تفاصيل البيت. لو سبتني شوية كمان على بالليل هقولك الغرفة البحرية دي كانت فين.

وافق الرجل واتفقنا على اللقاء ليلا، وتركته وبحثت عن شئ آكله، واتصلت بأشخاص عدة ترتبط حياتى بهم وحياتهم بي اعتذر لهم بانى مرتبط هذا الأسبوع.

وقبل منتصف الليل اتصلت على الرجل فجاء مهرولا. فقلت له الغرفة البحرية اسفل محول الكهرباء شمال الحجرة التى كنت تحفر فيها بثلاثين مترًا.

ــ إزاي احنا وعينا على محول الكهرباء في ارض مملوكه لشركة الكهرباء بره بيتنا خالص.

ـ شوف يا حاج بيت جدك كان فدانين يعنى 8400 متر فيهم حديقه بها كل انواع الفواكه. وفيها مندره وقاعه وحاجات كتير قوي. محمد على صادر الحديقة،ودي دلوقتى اللى بيعدي فيها قطر السكه الحديد والشارع الكبير اللى مودي على كفر سعد والمنصورة. بعد كده جدك باع الجزء القبلي اللى كان فيه اسطبل الخيل وسكن الخدم والعبيد وفضل محتفظ بالمبنى البحري ومبنى الضيوف. الحكومة بعد وفاة جدك استولت على المبنى البحري. وبقي محطة القطر وشركة الكهرباء وفرع البنك الزراعي. وسابت مبنى الضيوف محصور في النص ومالوش الا منفذ واحد اللى ملاصق للبنك.

من الاوراق اللى قريتها وجدك كان راجل أديب وبارع في الوصف. انه في اخر ايام مرضه كان بيمشي مائة خطوه من حجرته للمسجد. المسجد على السكه الحديد دلوقتى زي ماهو ماتغيرش من مائة وثمانين سنه.

بدأ الرجل غير مصدق ومتشكك في كلامي، ثم صارحني بشكوكه، يعني حضرتك عايز تقولي انك عرفت المكان بعد ما عديت الخطاوي! طيب عدتهم في انهي اتجاه؟

ـــ لأ طبعا. ده خلاصة ما وصلتله من عدة معطيات وكويس أنك مصحصح معايا. فيه هنا خطاب من عمدة في بلد تانيه موجه لجدك بيشكره فيه على حفاوته بابنه اللى نزل ضيف عليه سنة 1817. دي تقريبا السنة اللى جدك اتوفي فيها، وبيقوله انه حزن جدا لما عرف من ابنه حالة مرض جدك، وازاي انه قطع مسافة الاربعين خطوة من حجرته لحجرة الضيوف في مدة طويله مستندا على اثنين من ابناءه.

كمان فيه مقايسه لشراء خشب من جذوع النخل لسقف حجرة الضيوف. الخشب ده مازال بحالته فوق الحجرة اللي انت كنت بتحفر فيها. يعنى أنت كنت شغال حفر في حجرة الضيوف مش حجرة جدك اللي فيها الكنز. من الكلام ده كله وبعد شغل وقياس اتأكدت ان المكان الوحيد اللى ينفع يكون الحجره البحرية، وعلى بعد بالضبط مائة خطوة من المسجد وأربعين خطوة من الحجرة اللى كنت بتحفر فيها هو المكان اللي دلوقتى مغروز فيه المحول العمومي داخل سور شركة الكهرباء.

احسنت يا مولانا.. قالها الرجل بتهكم، ثم اردف يعنى كده الله يعوض علينا، مش معقول هنشيل المحول ونحفر تحته، محدش هيسيبنا، وبعدين أمة لا اله الا الله هتشوفنا ويبقي الموضوع باظ.

ـ اتقل بس ياعم الحاج الموضوع لا باظ ولا حاجه، مين قال أننا محتاجين نحفر تحت المولد. الشغل اللى انت عملته وفر علينا نصف المسافة. احنا دلوقت محتاجين نعمل سرداب، أيوه سرداب زي نفق يعنى من الحجرة لتحت المولد بطول 30 متر ومجرد عرض يعدي واحد وهو زاحف.

بس ده خطر، وممكن الأرض تهيل علينا في أي لحظه. ده غير ان الأرض تحت شركة الكهربا كلها كابلات ضغط عالي.

كويس قوي أنك لسه مصحصح، صحيح الموضوع صعب، لكن كل حاجه ليها حل وعلاج، والموضوع يستاهل، وأنا نسيت أقولك إني لقيت في الورق أن جدك أخفي بعض املاكه وباع اراضي لجيرانه علشان يهربها من محمد علي بعد ما غضب عليه، وشال ده كله في صندوق تاني اصغر مع مصاغ حريمه الاتنين وحطهم جوه الصندوق الكبير اللى كان فيه الجنيهات الدهب بتوع الانجليز. يعنى الموضوع يستاهل التعب.

ــ ومقولتليش على الكلام ده ليه من الأول.قالها بغضب، وفجأه تركني وعاد ومعه مصحف وأصر نتوضي ونحلف عليه ماحد فينا يخون صاحبه ولا سرنا يطلع لحد، فأطعته.

بعد ذلك استمرينا في جدال لمدة ساعة أنا أحاول اقناعه بضرورة وجود من يساعدنا وهو يرفض ومصمم أن نعمل نحن الأثنين فقط.

ـ ياحاج انت مش عندك اولاد؟

ـ عندي بنات

ـ خلاص أزواج بناتك ماهما برضه زي.....

ـ لا مش زي، ومش عايز حد منهم يعرف حاجه. احنا هنشتغل لوحدنا مهما المدة طولت. خد أجازة ونتفرغ سوا للموضوع ده.

ـ أنا مقدرش آخد أجازه وافضل قاعد هنا هلفت النظر، لكن متقلقش أنا هدرس كل حاجه، واحدد هنعمل ايه وازاي وبتكلفة قد أيه، وانت هتشتغل لوحدك الصبح وانا هكمل معاك لحد آخر الليل، وان كان على التكلفة هتبقى بالنص.

ـ لا أصرف انت، وابقي اخصم التكلفة كلها من نصيبي بعد الموضوع ما يخلص.

وبدأنا المشوار الحقيقي، وكانت المفاجأه عند الدراسة والبحث أن تقريبا مصر كلها بتحفر تحت بيوتها.

أسبوع كامل وأنا لا أتوقف عن البحث في اتجاهات عدة، والحاج عطا الله رفيقي لايتوقف عن السؤال: خلصت دراسات، وأنا لا أمل من الرد

عليه: اصبر ياحاج، وشرحت له فائدة ما أفعله ونبهته أنه عندما تحرك بحماس بدون دراسة كانت النتيجة والمحصلة لاشئ.

البحث والدراسة كانت سهلة، فهناك كثيرين خاضوا التجربة ولديهم معلومات كاملة. نوعية التربة، العمق، الطريقة المثلى للعمل، المخاطر وكيفية تلافيها....الخ. وفي النهاية لم انتظر ليسألنى وسحبته بعد صلاة العشاء.... خلاص ياحاج هنبدأ من الغد.

ثم شرحت له كل التفاصيل، وماتوصلت إليه، وخطة العمل، وأجبته على مايقلقه.

ـ التربه هنا طينية صفراء متماسكة، ولا توجد خطورة من عمل سرداب، كابلات الكهرباء على عمق بين سبعين سنتمتر، ومتر وعشرون سنتيمتر وستكون فوقنا. سنجلب بوصلة وسأقوم بضبط الإتجاه، سنحتاج أربعين لوح خشب، وحبل متين بطول اربعين متر، وعدة مقاطف وأدوات حفر صلبة وصغيرة. ميزان زئبق، وسنعمل في أوقت محددة معا لمدة ساعتين بعد الفجر، ثم تعمل وحدك حتى الظهر وتتوقف من الظهر والعصر لتنام ثم نعمل سويا من العصر للعشاء ونرتاح ساعه ثم نعمل حتى منتصف الليل وننام حتى الفجر. لا يجب الخروج عن النظام . واحد منا يحفر في السرداب ويضع التراب في المقطف والثاني يسحبه بالحبل فوق

الـواح الخشـب التـى سنضـعها بالتـدريج بعـد ان نقـوم بوضـع علامـات الامتار عليها. كان الرجل مطيعا متحمسا.

عشرة أيام ونحن نعمـل بانتظـام ونتقـدم بمعـدلات اكـبر مـن المتوقـع وفي اليـوم الحـادي عشـر وبعـد الفجـر بقليـل كـان عطـا الله بالـداخل حـين سمعـت صـرخه مكتومـة، فنـدهت عليـه ولم يـرد وقـررت الـدخول لأعـرف مـا جـرى لكنى لمحت شـبحه يزحـف نحـوي، فأخرجتـه واسـتطعت ان افهـم مـن حروفـه المتقاطعة مع انفاسه المتلاحقة.

احنا فتحنا على سرداب تاني.

فتركتـه ودخلـت، وكنـا قطعنـا اكثـر مـن نصـف المسـافة، ووجـدت بالفعـل سـردابنا يتقـاطع مـع سـرداب آخـر أعـرض، ويتجهـان معـا تجـاه الغرفـه البحرية لجد عطا الله.

عـدت أليـه لاهثـا وكـان مـازال في ذهولـه في انتظـاري لأفسـر لـه. فقلـت لـه: سـنتوقف الآن ونكمـل غـدا لكنـه رفـض رفضـا قاطعـا. نقـف ليـه احنـا خلاص تقريبا وصلنا.

احتمال نكون وصلنا .... واحتمال....

احتمال أيه؟

شوف يا عطا احتمال جـدك كـان عامـل سـرداب مـن خـارج حجرتـه بيـدخل ويطلع منه، واحتمال.....

أبوس إيدك متكملش خلينا في الاحتمال الأولاني.

جلست مع نفسي قليلا بدون ضغوط الحاج عطا الله محاولا أن أفهم ما الذي حدث؟ ومن حفر هذ السرداب؟

وقلبت كل الإحتمالات. من المحتمل فعلا أن الجد صنع سردابا من خارج غرفته يدخل منه لكنزه، لكن حتى هذا الاحتمال المتفائل يخفي داخله احتمالات شتى بأن يكون الجد قد اخذ الكنز من هذا المكان بعد كتابته الوصية ونقلها لمكان آخر. لكن إن لم يكن هو الذي فعل فمن المؤكد أن يد أخرى امتدت ووصلت، والسرداب الآخر يشير إلي عمل أكثر تنظيما وحرية وبعدد أكبر شارك في العمل. لكن كيف وصلوا والورقة الوحيدة التي أشارت للكنز ظلت مدفونه لدى عطا الله؟

كنت قد قرأت كثيرا عن تسخير الجان لمعرفة واستخراج الكنوز من باطن الأرض، فمن يدري!

كان لي شريك متلهف غير قابل لأي نقاش، واتفقنا أن يذهب هو لكن للحظة توقفت وأوقفته، وقلت له: سأذهب أنا

ـ ليه؟

ـ كده وليه انت اللي تروح؟ انا جسمي أقل وحركتى أسرع، واقدر اسحب الصندوق لو وجد، وربطت نفسي بحبل، وقلت له لو اتاخرت

عن نصف ساعة أسحبني مهما كانت الظروف، ومهما كنت معاكس معاك.

في الحقيقة كنت أخشي عليه من الصدمة، وكل الإحتمالات كانت في رأسي ربما نري جماجم وهياكل عظمية، ربما نري أشباح. وخشيت على الرجل أن يموت بالداخل، وان مت أنا فهو سيستخرج جثتي على أية حال، وهذا خير لي من أن أعيش شايل ذنبه.

توكلت على الله ودخلت، وبدأ السرداب يتسع، وشعرت أني أصعد لما يشبه الدرج، وبدأت أفهم نحن بدأنا من تحت مستوى المترين، والآن نصعد لنصل إلى منسوب المترين وأصبح عندي شكوك في أمر معين، وتأكدت لدي بعد دقيقة.

لم احتج لوقت طويل حتى أعرف ماجرى، كان مكان الصندوق واضح أمامي، وآثار الجر محفورة في السرداب، وحمدت الله أن عطا الله لم يدخل هو وإلا كان أغشي عليه من الصدمة، وربما انتهت حياته عند آثار الصندوق، أثناء عودتي اختلطت علي المشاعر والأفكار، وصنعت تشوشا عظيما في رأسي، وربما كان ذلك بتأثير من نقص الأوكسجين. لم أكن حزينا على مافقدت ولكنى كنت قلقا بشأن رفيقي، وأثر ذلك عليه. وكل هذا لم يمنعني من شعور بسعادة خفية بأن بحثي أتى بنتيجة صحيحة، حتى وأن لم تحقق مبتغاها.

بـدأت في الرجـوع وأنـا لا يزعجنـى إلا كيـف أشـرح الأمـر للرجـل هنـاك الواقف بانتظاري. عند منتصـف الطريـق عـن لـي أمـرا وقـررت تنفيـذه علـى الفـور. كـان مـازال أمـامي ربـع سـاعة، وعـدت إلى السـرداب الثـاني لأعـرف من أين جاء.

اخـذت أزحـف خمـس دقـائق بـالرغم مـن أنـه كـان يسـمح بـالتحرك حبـوا، حتى صلت لمـا يشـبه السـد، وكـان هـذا طبيعيـا فمـن غـير المنطقـي أن ينتهـي السـرداب بفتحـة خـروج مـثلا. لكنـى عرفـت الاتجـاه عـن طريـق البوصـلة، وهـو الاتجـاه المـؤدي للمسـجد، و الغالـب أن المحظـوظين اسـتخدموا المسـجد ستارا، وصنعوا السرداب، أما كيف عرفوا؟ فالله أعلم.

احتكت يـدي بقطعـة قمـاش، كـان المكـان مظلمـا، ولكـن مـن تحسسـها تـبين لـي أنهـا اشـبه بسـروال بلـدي، وبـدون كـثير عنـاء فهمـت. كـان تحـت السروال وأمامـه بقايـا عظـام ولـو مـددت يـدي للمسـت الجمجمـه فقـد كـان هيكـل عظمـي لرجـل، ثـم رفعـت رأسـي لأنظـر للسـدد الـذي منعـه مـن الخـروج. وتشـككت في الأمـر فمـددت يـدي لألمسـه فلـم يكـن ملمـس أرض طينيه بل كان أشبه بالخشب.

با ألهي أنه الصندوق.

فككت الحبل من خاصرتي وربطته في مقبض الصندوق الذي يشبه حدوة الفرس، وبصعوبة لملمت رفات شهيد الكنز في سرواله، ووضعت الصندوق امامى واخذت أدفعه للأمام في اتجاه الخروج على أمل أن يبدأ عطا في السحب. فكنت أشعر بضيق في التنفس، وزاد الامر سوءا ان الصندوق كان محشورا أمامي، وابتسمت ابتسامة خفيفة لا شك أن الرجل اخطأ نفس الخطأ حين وضع الكنز أمامه. بدأت محاولات عطا في سحب الصندوق وأنا اتحرك خلفه ومقاومتى تضعف، ولمحت ضوء باهت وشبح عطا، وكأنى رأيت بجانبه شبح آخر، وشعرت بدوار شديد كما لو كنت تلقيت ضربة على رأسي وفقت الوعي.

لا أعرف كم قضيت من الوقت فاقدا للوعي، فقد افقت في الصالة التى قابلت فيها عطا الله أول مره من شهر تقريبا، ولم يكن هناك من يقوم بإفاقتى، لكنى لمحت رفيقي ومعه شخص آخر يشبهه إلى حد بعيد وكأنه تؤمه، عرفني به بأنه شقيقه الأصغر جاد الله، وهنآني على السلامة، وكررا عبارات معناها المهم السلامة، ومش مهم الفلوس، في ستين داهية الفلوس.

لمحت الصندوق مفتوحا على آخره وخالي تماما، فنظرت لعطا الله نظرة استفهام لا تخلو من شك وريبة.

فعاتبنى أيضا بتذكيري بأننا حالفين على كتاب الله، وشرح لي الأمر بأني حين تأخرت ولم ينجح في سحبي اضطر لاستدعاء أخيه جاد لمعاونته، ونجحا في سحب الصندوق، ثم دخل هو وسحبني وانهما كانا يتجادلان في الذهاب بي للمستشفي أو إحضار طبيب حتى بدأت أنا أفيق وانقذتهم من الجدال والحيرة. وأنهما فتحا الصندوق ولم يجدا به شيئا. كنت استرددت بعض وعيي فقلت من المستحيل أن يكون هناك من فتح الصندوق غيركما. الصندوق كان مغلق. وسقفه ملاصق لسقف السرداب ولو كنت أنا حاولت فتحه لفشلت لأن الغطاء كان سيصطدم بسقف السرداب مما يعوق فتحه. والشخص الذي عثر عليه هو نفسه مات دون ان يتمكن من فتحه، واشرت الى العظام والجمجمة التى جمعتها واحضرتها معي.

رد علي جاد وهو يتحرك ناحية الصندوق ثم قربه مني، وبدا لي أكثر ثقافة وعلما من أخيه. شوف يا متر. الصندوق صحيح ماينفعش يتفتح من فوق لكن ممكن ينكسر من الجنب، وأراني مكان الكسر، ثم أكمل واضح أن الجثة والصندوق انحشرا، ورفاقه مكانش عندهم وقت ولا استعداد لإنقاذ حد، ويمكن فكروا ان موته في الداخل يوفر نصيبه، فكسروا الصندوق من الجانب الآخر واخرجوا كل ما فيه ووضعوه في جيوبهم، وردموا على السرداب وبداخله الصندوق خالي، وبداخله

صاحبهم أيضا. نظرت لجاد نظرة تعنى أني غير مصدق وقلبت النظر بينه وبين عطا وكان مستسلما تماما. وأخيرا نطق عطا انا عارف انت بتفكر في أيه ان احنا اخدنا الدهب والمجوهرات اللى كانت في الصندوق وعايزين نطلعك بلوشي، ولكن وايمانات المسلمي.....

ـ مجوهرات؟!! هو الصندوق كمان كان فيه مجوهرات يا عطا؟ مكنتش عارف.

أنت بتشك وهتفضل تشك، أنا بقول ايا كان اللي في الصندوق دهب مجوهرات فلوس أيا كان.

طلبت منهم أشيل الصندوق، ووجدته ثقيلا بالفعل وزنه لا يقل عن خمسة كيلو جرامات، لو كان ممتلأ بالذهب وزنه كان سيصل لخمسةعشر كيلو على الأقل.

قلت لهم اسمحوا لي، ودون أن انتظر رد من أحد، اخذت الصندوق وعدت للسرداب ودفعته أمامي وأنا ازحف شعرت أنه هو هو نفس الوزن تقريبا وان كان من المستحيل أن أجزم بذلك، خرجت بسرعة بعد أنارت بصيرتى خاطرة.

وقفت أمامهم منهيا الموضوع وفي عقلي تتردد عبارة يكفي جثة واحدة. خلاص أنا مصدقكم وفوضت أمري إلى الله. لكن لي مطلب سيبولي

جثة الراجل ده هحللها واعرف تاريخ وفاته وبعدين ادفنها بمعرفتى، وسيبولي أوراق جدكم، فوافقا. فلملمت الجثة وعدت لحجرتي في استراحة البنك. والقيت بنفسي على الفراش وأنا اتساءل عن حقيقة كل ماجرى.

## سيرة ذاتية

الأسم : خالد أحمد بدوي وزيري

أسم الشهرة : خالد وزيري

الجنسية : مصري

تاريخ الميلاد : 28 / 2 /1969

السن : 51 سنة

المؤهلات : ليسانس الحقوق جامعة عين شمس 1991

محل الإقامة : 6 شارع النصر العجمي ـ البيطاش ـ الإسكندرية

محل الميلاد : عين شمس ـ القاهرة

الخبرات العملية : عضوية نقابة المحامين إعتبارا من أكتوبر 1991، عمل محامي بالبنك الزراعي المصري( بنك التنمية والإئتمان الزراعي سابقا) إعتبارا من 1995/4/24،

الحالة الإجتماعية : متزوج ولديه ثلاثة أبناء. ولدين ، وبنت

خبرات الكتابة : له رواية واحدة منشورة بأسم مشروع رضوان

# الفائزة : سلوى أيت علي

## الوجبة الأخيرة

على أرضٍ شبه قاحلة، يجر أقداما هالكة، حافية، وملابس رثة، بهتت ألوانها و تهلهلت جودتها، وزُيِّنَت برُقع على الأكتاف و المرافق، ربما بسبب أشعة الشمس الحارَّة التي يستقبلها حين تطل في ساعات الصباح الأولى، ويودعها عند شروقها مساءً، وربما بسبب تعبها هي الأخرى من جور الحياة وجبروتها أكثر من تعب صاحبها.

يُتابع بعينين بريئتين دامعتين.. طفل يمر بجانب أغنامه، أو بالأحرى أغنام والده، و قلبه في حيرة على ماذا سوف يتحسر بالضبط؟ هل على لباسه الجميل ذو الألوان الزاهية التي تعبر عن سن الزهور والبراءة؟ أم سيتحسر قلبه على رؤيته للحقيبة المدرسية في ظهره المزينة كما رسمها في خياله ؟؟ لكن فؤاده سيتمزق أساسا لرؤيته ليد الأب التي تحضن يد إبنه بكل قوة وحب، وأمان، ودعم، وهُو في غاية الفرح والابتهاج، كفراشة في حقل مُبهج في فصل الربيع بأول يوم لالتحاقه بالمدرسة. مَرّ بجانبه كما مر شيء مفجع، تركه في هيستيريا مُحزنة، يكاد يُجَن، يَئِنُّ كصبي تركته أمه

في مفترق طرقٍ، تهوى به المواجع نحو هاوية الألم والأسى، وهو يتذكر أباه عندما منعه من تحقيق حلمه، والضفر بمقعد دراسي مثل أقرانه، مخاطبا إياه بصوت أجش، وقاسي، كادت تردده الجبال المحيطة بهم:

"..لستَ في حاجة لتضييع وقتك في تفاهة كالدراسة، أنت تملك قطيعا كبيرا من الغنم والماعز، ومنزلا ومأكلا تأوي إليهما لماذا سوف تذهب صباح مساء للمدرسة إذا؟؟ اعتني بالأغنام إلى حين بلوغك السن القانوني، وسيساعدك ابن عمك في الذهاب إلى خارج البلاد مثله، وسترسل لنا أموالا كثيرة و سنحضى بامتلاك العملة الصعبة."

لا أعلم كيف لأبي أن يحرمني من دراستي، ويفكر في تهجيري لكي يستفيد هو؟؟ هل هو أبي حقا أم يحسبني واحدا من أغنامه التي فَضَّلَها عني؟؟

سقطت دموع حارقة على وجنتيه المُجعدتين باكرا بسبب قساوة الطقس هناك، وكذلك البشر، كلما تذكر هذا الكلام القاسي، جلس مُسنِدا رأسه الذي يضُج بالأفكار إلى جدع شجرة كانت أحن عليه من ذوي القلوب الصلبة، ليسترجع أنفاسا استنزفتها هضبات الجبال والتضاريس الوَعرة التي يسلكها راعيا الأغنام والماعز بحثا عن قُوتها، أما عن حاله فلا فرق إن وصلت لقمة إلى جوفه أم لا، فالأمر سِيَّان عند زوجة أبيه، حتى حين عودته لا يحضى ولو بقطرة ماءٍ تُطفئ لهيب قلبه المحترق.

عـــاد أدراجـــه في المســـاء كعادتـــه، مُنهـــك القـــوى، رجليـــه الصـــغيرتين لا يســـتطيعان تحمُّـــل الأكثـــر، و جســـمه الضـــعيف مُســـبقا يصـــيبه الهـــوان، لا يترائـــى أمـــام عينيـــه الناعســـتين المُتعَبـــتين إلا وســـادته المهترئـــة وفراشـــه البـــالي المُلقـــى في ركـــن غرفـــة كـــبيرة فارغـــة، لا ضـــوء يُـــنير عتمتهـــا، ولا شـــعاع يَفـــر هاربا من كُـوَّة بـابٍ تمـلأه الشـروخ. ينـزوي فيهـا جسـد هزيـل ونفـس مختنقـة مـــن وجـــودٍ نَـــتن، ظـــالم، وحشـــي، لا رحمـــة فيـــه،.. يتوســـل زوجـــة الأب منحـــه كســـرة خـــبر يســـد بهـــا رمـــق الضـــعف، تـــأمره بالانصـــراف والغـــروب عـــن وجههـــا، و تتجاهلـــه، فيتســـلل لطبـــق مُغطـــى وخبـــز ســـاخن اشـــتاق لتذوقـــه، لم يـــذق طعمـــه منـــذ وفـــاة والدتـــه، تســـقط صـــفعة مفاجئـــة علـــى رقبتـــه الصـــغيرة مقاطعـــة أكلـــه الـــنَّهِم وهـــو يـــردد: " أممـــم إنـــه لذيـــذ، كـــأن أمـــي حبيـــبتي مـــن حضَّرَتهُ...أممم، لذيذ"..

كانت زوجة أبيه المتسـلطة مـن جديـد، الـتي مـا تركـت مكانـا في جسـده إلا و وضعت به علامة بمسـمار حـارق كـي يتـذكر أنـه لـيس عليـه أن يصـل مجـددا لأي شـــيء في المطـــبخ، حتـــى ترغـــب هـــي في إعطائـــه أو منعـــه!! متوعـــدة إيـــاه بعقاب شديد، لا يشبه السابق..

سقطت كسـرة الخبـز السـاخن مـن يديـه المـرتجفتين، وفـرَّ هاربـا لركنـه الـذي يؤويـه مـن فضـاعة تلـك المـرأة، يُـدخل يـده الصـغيرة تحـت وسـادته حيـث

صورة ضبابية لمن تسكن الروح والفؤاد، لمن كان وجودها وبقائها سيغيران كل شيء. احتضنها برفق، بحب، وبكل هدوء كاتما دموعه بصعوبة، قائلا: " أنا بخير يا أمي، هيا لننام."

يستفيق على زمجرة زوجة أبيه، وبعض ركلاتِ هذا الأخير، الذي تعلَّم من القسوة ما يكفي لكي لا تَعرِفَهُ بعد وفاة والدته... يرعى الأغنام التي أصبحت ونيسا، يركض يُداعب صغارها، يجري تحت أشعة الشمس التي حرقت كدمات جلده المحترق بنيران الكره والبغض، يوَدِّع الشمس، ويعود أدراجه إلى أكثر ركن مريح على هذه الأرض.

استقبلته زوجة أبيه في المساء، بابتسامة غير معهودة فاجئته، وزاد من دهشته الحساء الساخن الشهي الذي وجدها قد حضرته له مُسبقا، وتنتظر ساعة عودته.. شرِبه بِنَهم رغم مطارق الشك التي تكاد تُهشم رأسه، إلا أن معدته لم تترك له متسعا كي يتأكد مما يحصل!..

انزوى في ركنه حاضنا الصورة، و ما هي إلا لحظات حتى بدأت أمعائه تتلوى، يتألم، بل يتمزق ألما، ويتقلب في مكانه كالدودة، يُصدر صراخا ضعيفا كجسده، ويطلب النجدة، رغوة تنبعث من ثغره الصغير، يُطوق صورة والدته ويضمها إلى صدره ويطلب منها الدعاء له بالشفاء.." كنت أعلم أن الأمر ليس طبيعيا هذا المساء، ليس كل الناس طيبون مثلك يا أمي.."

ضحكاتُ شرٍّ وشماتةٍ، ملأت المكان، وهي تردد بتهكُّم ولا مبالاة طاغية:

" -إنها ساعات عمرك الأخيرة أيها الصعلوك، لكي تستوعب أوامري و تعي جيداً أنه لا مكان لك هنا.. لكنني سأكون رحيمة معك، سأُلبي لك آخر طلب قبل أن تذهب عند من تدعوا بشفائك.."

أجاب بصوت ضعيف وكلمات متقطعة، نطقها بصعوبة:

" -أريد.. أريد.. حقيبة و كِسرةُ خبزٍ ساخنة."

# الفائز: سليم قسطي

## زواج الخطى

-1-

كنت أعتقد أني الوحيد الذي تسلل من بيته في تلك الساعة المتأخرة من الليل، أو بالأحرى تلك الساعة التي تتمتم في أذنيْ الصباح... تلك الساعة التي تفصل الخيط الأبيض عن الخيط الأسود، تقبّل خدّ الليل و تصير خالا جميلا على وجه النهار... هي ساعة السبات العميق، لكن أنا، ولأنّي كنت أحسّ أنّي المختلف عن كلّ الناس، فقد كنت أحب الاستيقاظ وقت النوم كقطّ يفتّش عن قطعة حرير يتدثّرها. كنت أمنع جفوني عن الإطباق كي أستمتع بحريتي الكاملة في مدينتي، أقبّل راحة الحسين في خشوع. أستطيع أن أفعل ما أشاء، وأطلق قدميّ حرّتين بين خلجان الحسين. لن أزعج راحة النيام، و حريتي لن تعذّب هدوء الحسين.

خرجت من بيتي، أبحث عن حريّتي، أريد أن أسمع دبيب خطواتي وسط الظلام البهيم. إنّي أعشق هذه اللحظة الجميلة حين يغازل نعلي إسفلت الشارع في حنايا الليل. إنني في النهار نادرا ما أسمع صوت خطواتي. حيّ الحسين بالنهار يشبه ساحة وغى اِمتلأت بالجلبة التي

تلتهم الأصوات. كم جميل أن يجامع الإنسان السكينة وحيدا. وما أشدّها كآبة أن يبقى الإنسان تائها، يلهث خلف نبراته، فيجدها دامية جرّاء الخصب الأصمّ في جنبات الحيّ العتيق. تراني أستطيع سماع أصوات الآخرين إذا لم أتبيّن هديل نفسي؟؟

خرجت من غرفتي، أخي ما أحسّ وقع خطواتي، المسكين مثلي يقضي ساعاته يهضم فلسفة هذا ورياضيات هذه وتاريخ ذاك وكيمياء تلك. في تلك الساعة السرمدية الفريدة من الليل، أغلق باب الدار تاركا والديّ وثلاث أخوات يكبرنني مرتاحين في معابد "إبنوز". غادرت جنان "مورفي" كي أنفرد بنفسي وأنتظر الصبح كي يتنفّس.

كنت أظن أنني "الملك الضليل" الوحيد الذي خرج يعلّق شعوره على أستار الحسين، لكني فوجئت، بوقع أقدام أخرى تلامس الصعيد، و يمتزج بصوت خطواتي. خلفي، كانت الخطوات تطارد خطواتي، تراسلها على نفس الرصيف. السكون يصمّ الآذان، والخطوات الأخرى البعيدة كانت تصلني وكأنّ صاحبها يعانقني. كانت خطوات شرقيّة شاردة، ضالة كخطواتي، هكذا ما قاله لي الفؤاد الذي ألف وقع أقدام "مادية" يعج بها حيّ الحسين حين يعربد النهار على القاهرة. يصير الحيّ العتيق كمكّة يقصدها العباد من كلّ حدب وصوب، يدوخ وسط عرمرم الناس من مصريين وعرب وسيّاح أجانب، جاءوا للمتعة أو التنزه أو المتاجرة.

في النهار، تحسّ الحي في حالة فريدة تشبه ظاهرة الحلول حيث تشعر وأنّ الأنام صاروا جزءا لا ينفصل عن الحيّ كمساجده العتيقة ومتاجره الخلابة ومقاهيه الفرعونية .

لقد كان خلفي بمسافة غير قصيرة، اِلتفتّ مستعينا بنور بعض المصابيح التي كانت تدغدغ الحيّ، فلمحت خيالا نحيلا، ظلّا شرقيّا يسير في تُؤدة، يسير بغير هدف مثلي، يحاول محاورة نفسه مثلي أنا.

لن أستطيع أن أدندن بعض طقطوقات العندليب الأسمر وحدي، و أجعل حنايا الحيّ ترقص إذا الليل عسعس. فالغناء هنا ينبعث من أركان الحي الذي يرتاده كلّ يوم الكثير من المطربين المتجولّين والمنشدين ذوي القرائح المرهفة، يملؤون ساحاته بمواويلهم المحملة بعبير مصر الخالد. في النهار كان الحي يهجرني وأنا فيه، أتنفسه فيلفظني، كأني شاعر مُقل طرده سوق عكاظ ليفتح أحضاه لفحول الشعراء. كنت أظن أني الشاعر الوحيد في هذا الليل الصافي، لكن في هذا الحي، كان هناك هائم مثلي يطارد الجمال الحسيني.

-2-

كان خلفي، يتبع خطاي ولا يتبعني. كان يذكرنّي حكمة اِبن عطاء الإسكندري: "اِدفن وجودك تثمر". كنت أحبّ الخروج ليلا، أبحث عن

وجودي، أكفنّه تأمّلا وفنّا، وأدفنه قرب البيوت الفنية التي تشرف عليها هيئة قصور للثقافة والبيت الفني للمسرح وأكاديمية الفنون ودار الأوبرا المصرية و"وكالة الغوري" و"بيت السحيمي". كنت أحبّني أثمر ليلا جنب قصر الأمير طاز ومسجد الحسين و"بيت الهراوي" حيث "بيت العود العربي."

لن أستمتع بتفردي وسيموت اليقظان فيّ، ولن أستمتع هذه الليلة، ليلة السبت، بنغمة "عشاق" للشيخ علي محمود رائد فن الإنشاد. كنت كلّ ليالي معه، هذا المتيّم بالموسيقى والطرب وهو يؤدي تواشيحه من فوق منارة الحسين. بالأمس استمتعت بنغمة "البياتي"، ويوم الخميس بنغمة "الراست"، والأربعاء بموّال "الجركاه" وقبل بنغمة "الصبا" والاثنين بروعة "السيكا" والأحد بطقطوقة "حجاز."

كنت أظنني وحدي والحسين، وكم أحبني وحدي مدثّرا بقدسيّة المكان. لأجل هذا، أخرج من بيتي في تلك اللحظة البعيدة من الليل لأعود قبل نهوض النهار لأدعو شهر زاد بعد صياح الديك وأقصّ عليها مغامراتي بين شوارع وأزقّة وحارات الحي المقدس. أخرج كموسى ولم أبلغ من العمر حتّى نصفه، أبحث عن نفسي في عيون الحسين. لكن لم أكن وحدي في خلوتي فالظل الشرقي النحيل، متوسّط القامة ما زال يحدث وقعا رتيبا على الرصيف.

الفجر يتثاءب، ولم أستمتع بخلوتي السرية. هل هنا ملك غيري في هذا الليل؟ تمهّلت في السير حتى يتجاوزني و يبتعد بوقع خطواته عنيّ. أحب أن أتيه وحدي. أنا السندباد والحي سفينتي. كانت خطواته تقترب مني وتقترب، ترعبني، لكن ليست كخطوات النهار الصاخبة المسرعة. صرت أخشى وقع الأقدام في النهار. عادة، أسمعها تركض وفجأة صمت رهيب، قالوا "قتل الخطى رصاصةُ ربيع". وما إن أحسست به يكاد يمر بجانبي حتى اِستدرت لأرى وجه مشاركي في هذه الليلة النيسانية. لم يكن مثلي فحسب، بل كان مشاركي اِمرأة مقصوصة الشعر على طريقة الرجال. والتقت المقل في ليلة من ليالي الحسين.

لم يشأ الليل أن يحجب وجهها عنّي، وكأنّه يريد أن ينتقم مني ومن خروجي كل يوم أغازل بناته الحالكات حين تنام البسيطة. لقد اِنتقلتْ إلى الرصيف المقابل لا الشعر يلهث خلفها ولا فستان تتلاعب بأذياله النسمات. لقد قصّت شعرها ولبست سروالا وأخفت محاسن عودها بمعطف لا يألفه إله نيسان. فررت من نظراتها وقد كنت قبل هذا أفرّ من خطاها الشرقيّة.

نظرت إليها، كنت هارون الرشيد أتفقد حيّي، وكانت هناك مقنّعة بريش آدم، هربت من النظرات لتحاصر نظراتي الخجلى. كانت الخليفة المزيّف، تعرف مثلي مسجد الحسين و منطقة خان الخليلي والجامع

الأزهر. وأنّها أحسست تعرفني، تتأملني وكأنها تعاين أحد المعالم الأثرية الفاطمية الإسلامية القديمة .

مازالت تلاحقني، حاسة السمع خطاها، حاسة البصر محيّاها، وجاء يغازل أنفي عطرها الذي غزا المكان وأجبر رائحة النرجيلة والشاي الأخضر مع النعناع التي تبعثها مقهى الفيشاوي على رفع راية الإستسلام. فهمي الفيشاوى أحد فتوات الجمالية في القرن الثامن عشر لا يستطيع أن يقهر أريج هذه المجهولة، التي لا أدري من أين طلعت لتشاركني مغامرتي الحسينيّة أو لتؤرق وحدتي.

ـ مساء الخير، جاءني صوتها خافتا محمّلا بالأسرار.

ـ مساء الخير، رددت التحيّة، ليس لديّ الخيار.

-إِسمي سميرة، قالت، أهوى السمر؟

-وأنا حبيب، أجبت، أعشق ضوء القمر.

ـ ينقصك حاستان من الخمس يا حبيب.

ـ لا أفهم قصدك، كلامك غريب.

وتوقّفتُ، وأبطأتْ خطواتها. كانت تلاحقني، تعلم من أكون، وفيما أفكّر. إنّها "ديكارت" وجودي وأنا أبحث عنّي أمام نظراتها. هل من المعقول

أنهـا علمـت برغبـة روحـي أن تتـذوّق روحهـا و آمـال نفسـي أن تلامـس نفسها؟

ـ هـل تعلـم أنّ مقهـى الفيشـاوي كـان مقصـداً لطـلاب العلـم للاسـتذكار وملتقـي للحركـات الطلابيـة السـرية بهـدف الاعـداد للمظـاهرات ضـد جيش الاحتلال الإنجليزي؟ سأَلَتْني.

ـ نعم، أجبت. لماذا جاءت لاحتلالي؟ سأَلْتُني.

-هل تدري أنّه تمّ تفجير قنبلة في حيّ الحسين في فبراير ٢٠٠٩؟ سأَلَتْني.

ـ نعم، أجبت. هل تريد أن تفجّر حنايا الفؤاد؟ سأَلْتُني.

ـ وقتلت فتاة فرنسية تبلغ من العمر ١٧ سنة، أضافت.

وكانـت هـي في الرصـيف المقابـل تغنّـي هـذا العمـر البـديع. وكنـت أنـا أكبرها عامـا، وتكبرنـي جـرأة وشـجاعة. ورحـت أمشـي، أغـازل وقـع أقـدامها، أحاول جاهـدا أن أخلـق سمفونيـة تـتلاءم وحـيّ الحسـين العتيـق. أراهـا تفعـل مثلي وكأنّ بقاءنا مرهون بهذا الزواج، زواج الخطى.

مشينا، أريـج الحسـين يلفّنـا، نفضـنا معـا عـن الحـي وقـع خطـى نهـار الأمـس وغسّلنا الأرصـفة مـن الجحـود والعـدم. كنّـا نمشـي نبحـث عنّـا. لقـد وجـدتني سميرة واِختفـت. اِنقطـع الصـوت، ركضـت خلفهـا علـى رصـيفي وأعلـم وأنـا

طالب في السنة النهائيّة "علمي" أنّ الخطّين المتوازيْن لا يلتقيان أبدا. رحت أبحث عنها، أروح وأغدو سجين دائرة.

الفجر فتح مقلتيه الضيقتين، تبسّمت، الآن لن أبقى أبحث عن نفسي بل سأبحث عن سميرة "آلهة السمر."

## سيرة ذاتية

سليم قسطي

تاريخ الميلاد: ٢٩ فبراير ١٩٧٢

الجنسية: جزائرية

الشهادة: دكتور في الأدب العربي القديم / جامعة السربون / باريس 4 / فرنسا

المهنة: أستاذ مُبرّز

الهوايات: الشعر، السينما، الموسيقى

## الفائز : عبد القادر كشيدة
## صباح أمسية عاصفة

كان جمالها الأَخَّاذُ لا يُوصَفْ، وعيناها الزرقاوين يُبحِر فيهما من يهوى المغامرة، ويتحدى الخوف، ساحرتان وفيهما تعبير زاخر كلون بشرتها البيضاء الناعمة، كانت تتأرجح على الأرجوحة القديمة فتتطاير خصلات شعرها الأشقر تطاير الدُّرَرِ مع النسمات العليلة فتعطيها معنى وأثر، كانت لون أمها و طبخة صنعها، وفخر كل من في المدينة، ما تزال صغيرة والحياة بين ذراعيها رحبة، معطاءة بالخير والبركة، أبٌ حنون وأمٌ غاليةٌ، منزلٌ جميلٌ وغطاءٌ وثيرٌ، طبيعةٌ خلابةٌ وأنسٌ منقطع النظير في مبنى الضرائب...كانت تلقب بذات العيون الزرقاء، صباح اسمها وعشرون ربيعا كان عمرها، لقد سحرتني بالكامل واعترانـي الشوق إلى الحديث معها كلما تلصصت عليها في حديقة حيها النبيل وسط المدينة، كنت أتبعها دوما في غفلة منها، من الجامعة إلى المنزل ومن المنزل إلى الجامعة واسْتَغْرَقْتُ الكثير في ذلك، لكنني لم أشعر بالوقت ولا بالزمن، كان كل شيء يتكرر بنفس الطريقة وكرهت الروتين وأحببته

في نفس الوقت، وازداد عشقي لها واتسع قلبي ليتحمل أحاسيس دخيلة عليه، وفاجأني عندما استطاع الاحتمال...وفي وقت العمل في مقهى زرابو أتناسى المشترين، وأضيع مُشَرَدًا في حسنها، وتنسيق ملابسها الرائع، وفي تسريحة شعرها الملتف، كان اللون الأسود جاذبا وأنيقا، يُظهر كمالا في الاختيار وحسن في التأنق والموضة، وكأنها أميرة فاتنة ينقصها الخدام، والجميل في هذا كله أن حسن صاحب المقهى الذي أعمل فيه، لا يعاتبني في إنسراحي غيابي عن الواقع، لأنني لم أكن الوحيد المنسرح، والشارد المتطفل، فالمقهى بأكمله يذوب في تمايل صباح، وفي ضحكاتها المغردة...لم أنسى ذلك اليوم الذي رُميت فيه بسهم حب لا يخطأ، وأصابني في مقتلٍ فقضيت جل وقتي في التغني بعشقها وسحرها الفاتن اللذيذ موسيقى شجن وحكايات حب ولهة بين الأصدقاء خسرت تحويشة العام في شراء قاريء أغاني وسروال جينز جميل...يوم ماطرٌ ذلك اليوم الذي إلتقيتها فيه، والسحاب يعطي لون أسودا للسماء، والرياح العاصفة تسعى بكل ما لديها من قوة للنيل من مظلتها الواسعة، وأي قوة في هذا الوجود تستطيع هزم الرياح العاتية، لقد نَجَحَتْ في ذلك بكل سهولة وجَرَّدَتْهَا من مظلتها،والآن باتت صباح مكشوفة لها وللجميع وسط الطريق الخالية من السيارات وكذا المارة ،لكن سرعان ما تغير كل شيء وبدت قوية جدا وهالني الأمر وأنا أشاهد مشهدا قل ناظره في

هـذه المدينـة المحتشـمة...رمت بمظلتهـا بعيـدا ثـم نزعـت معطفهـا وحـذائها ووضـعتهما علـى الرصـيف، ثـم قـررت في لحظـة قصـيرة أن تتصـدى للجـو العاصـف بكـل شـجاعة ممكنـة، فتحـت ذراعيهـا وبـدأت بـاللف والـدوران تنـادي بصـوتٍ عـاليٍ مُتحـررٍ وكأنهـا جُنَّـت، كانـت تـراقص حبـات المطـر بشكل هسـتيري، وتمـر عـبر نسـماتِ الـبردِ القاتلـةِ بانسـيابيةٍ مُحَيِّـرَة، تضـرب الأرض المبللـة برجليهـا قـافزة فينتشـر الـرذاذ مشـكلا حلقـة بلوريـة متراصـة ويتردد في الأفـق صـدى الصـوت موسـيقى صـاخبة تتنـاغم مـع صـفير الريـاح وهـدير الرعـد الفـائق وأصـوات تحطـم الأشـجار، كـان الـبرق يـزداد لمعـان فتضـيء الأرض بنـوره كـل دقيقـتين وسـرعان مـا تعـود الظلمـة، فيتبـادر إلى ذهـني أن ومـيض الـبرق الـذي ينبعـث مـن السـماء مـا هـو إلا ومـيض آلـة تصـوير، وكـأن أهـل السـماء منشـغلون بالاسـتمتاع بهـذه الرقصـة الفاتنـة أيضـا، فتراهـم يصـورونها عـن قـرب في كـل ميلـة تميلـها، وفي كـل إيمـأة ترسلها بعفويـة تامـة كـي لا يفـوتهم التشـويق و الانبهـار، إنهـا نجمـة خياليـة تـؤدي رقصـة العمـر علـى مسـرح واقعـي أمـام عناصـر الطبيعـة الغاضـبة باحترافيـة واضـحة، وروعـة لا مثيـل لهـا علـى الإطلاق...لقـد أيقنـت حينهـا بأنني محظـوظ جـدا لأرى هـذا المشـهد الخـلاب وتعجبـت كـثيرا مـن اسـتطاعة فتـاة سـاحرة كهـذه مـن هزيمـة الطبيعـة الغاضـبة وتجريـدها مـن صـلابتها وروح تحـديها للبشـر...لقد سـحرت الطبيعـة وسـحرتني فتسـرب حبهـا إلى

داخلي بسرعة ودخلت شغاف قلبي دون سابق إنذار، وأي نوع من الحب هذا الذي يجعلني أنسى حالي ولا أشعر بالبلل هكذا فقد كنت مكشوفا أيضا ولم أشعر بشيء بعدما كنت مستترا بجدار بعيد أراقب ما الذي يحدث...وتسألت في نفسي بعد ذلك عن كيفية البوح لها بعواطفي وكم كنت ضعيفا عندما سنحت لي الفرصة ألاف المرات فتقاعست وآثرت التخلف على الإندفاع، لكنني عزمت وعزيمتي من حديد لا يُفل، وقررت وقراري حاسم لا رجعة فيه، سأقابلها الآن مهما كان الحال عندما تمر عليَّ في المقهى، وما هي إلا لحظات حتى رأيتها فانشرح صدري وأحسست بالبرودة فأقشعر جسمي لقد مرَّت من أمامي فشممت عطرها وضِعْتُ في تفكيرٍ مُغَيِّبٍ وانشغالٍ متمَمٍ نظرت إليَّ ولم أفهم مفاد النظرة وبات صوتها يناديني في داخلي وسمعته بوضوح وهو يحدثني بطلاقة ورِقَّةٍ متناهية "قلي يا سيدي الجبان إلى متى وأنت تنظر إلي هكذا بدون حراك ..تشجع وانزع لباس الخوف عنك وحرر عقدة لسانك واصرخ بأعلى صوتك وصارحني بمشاعرك" لقد كان الصوت حقيقيا وقريبا جدا آمنت به واقتنعت بضرورة التصرف الآن، استجمعت قوتي رميت المئزر على إحدى الطاولات، تبعتها وَجِلاً وكدت أن أتعثر، كانت المسافة التي تفصلني عنها بعيدة جدا لكنها بدأت تتناقص شيئا فشيئا عندما أسرعت، وَقَفَتْ على حافة الرصيف وكأنها تنتظرني، خَفَفْتُ من سرعتي ومشيت

الهـوينى وقـد هـدأت نفسـي، وتجهـزت للحـديث بكـل راحـة ممكنـة، وثقـة نفـس عاليـة...متر واحـد فقـط ،امـتلأت رئتـاي وفتحـت فمـي لأناديهـا باسمهـا صـبا....وكم كانـت الصـدمة قاتلـة عنـدما تَوَقَفْـتُ مندهشـا، وتَجَمَـدْتُ في مكـاني، وبلعـت الكلمـة بلعـا حتـى كـدت أختنـق، توقفـت سـيارة سـوداء فـاخرة أمامهـا بالضـبط ،نـزل منهـا شـاب أنيـق ذو طَلَّـةٍ بهيِّـة ومنظـرٍا يـوحي بـالثراء، ومـا إن وطء برجليـه الأرض ونـزع نظارتـه السـوداء حتـى ارتمـى عليهـا محتضـنا إياهـا بقبلـة في خـدها الأيمـن، وعَجِبْـتُ مِـنْ فرحتهـا بتلـك القبلة فكادت أن تطـير، وتنـاثر كيـاني حينمـا نادتـه بصـوت حنـون "حبـيبي كـم كنـت مشـتاقة إليـك "، وسـرعان مـا ركبـا السـيارة ومضـيا يَشُـقَّان الطريـق إلى جهـة لم أعلمهـا...لم أعـرف مـاذا حصـل لـي حينهـا ، وأنـا أنظـر إلى السيارة وهي تسـير مغـادرة المكـان، لقـد شـعرت بالخيبـة وحملـتني التعاسـة إلى عـالم غريـب مـن الكآبـة والإحبـاط، وبـت أدرك أن الصـوت الـذي نـاداني بـالهمس لم يكـن صـوت صـباح ولكنـه صـوت نفسـي البائسـة المنتكسـة الباحثـة عـن الحـب. وبـات الـتفكير فيـه أي الحـب شـيئا معقـدا بالنسـبة إلـيَّ، وقـررت ألا أتقـاعس في التعـبير عـن حـبي لأي فتـاة أغـرم بهـا في المسـتقبل، ولا أبـالغ في وصـف مشـاهد الالتقـاء عنـدما تتراقـص الحيـاة في نظـري علـى إيقـاع قلـبي المتلـهف للحـب الباحـث عـن مغـامرات للعشـق والهيام، فلربما أُضَـيِّعُ مفـاتيح مجـالاتي الحالمـة ويضـيع قلـبي كـذلك. وكـان لابـد

أن أكــون جريئــا لأبعــد الحــدود، وخبيثــا إذا لــزم الأمر...وقفلــت عائــدا إلى المقهــى وقــد أُطــرق رأســي، وصــوت الضــجيج يمــلأ الــرأس صــخبا ويفســد المزاج دخان عقيم، فوضى المدينة وألم الحب وجهان لعملة واحدة.

## السيرة الذاتية عبد القادر كشيدة

ولد في مدينة المسيلة /الجزائر في عام 1988، مدقق لغوي ومراجع، مترجم أدبي، شاعر، كاتب نصوص درامية ووثائقية، حاصل على شهادات جامعية (شهادة ليسانس إعلام واتصال، ليساس + ماستر علم إجتماع، وهو بصدد التحضير لنيل شهادة الدكتوراه في علم الإجتماع ،عمل كمصحح لغوي لجريدتي ليوم والبلاد الجزائريتين، حقق الكثير من النجاحات المختلفة في عدة مهن أخرى...شغل عضو هيئة تحرير حولية الشعر العالمي التي يصدرها المركز الدولي الصيني لدراسات الشعر والترجمة IPTRC ومترجم معتمد لديه، وعضو شرفي بمؤسسة الثقافة بالجان بلبنان... بدأ "كشيدة" في نشر أعماله الأدبية وترجماته منذ عام 2014، كما ترجمت أعماله الأصيلة إلى العديد من لغات العالم الحديث... فترجمت للغة الانجليزية والاسبانية، الصينية. الفرنسية ...كما تضمنت العديد من الأعمال الأخرى في الداخل والخارج. حاز على العديد من الجوائز المحلية والدولية في الصين ولبنان وغيرها....آخرها جائزة الاستحقاق لأفضل مترجم عالمي لسنة 2016 عن جميع المنشورات العالمية لمركز IPTRC الدولي وقبلها جائزة الأديب ناجي نعمان الأدبية 2014...كاتب نص الفيلم الوثائقي ليلة النار لخالد شنة ، الفيلم الفائز بالمركز الأول لأحسن عمل متكامل للمهرجان العربي الإفريقي زاكورة بالمغرب ديسمبر 2019 .

...shorturl.at/eop05ساهم في ترجمة مجموعة منشورة "قصائد مختارة للشاعر الصيني الكبير دون غوغان https://bit.ly/2EOyG3m ،. مجموعة قصائد مختارة مترجمة للشاعر الصيني آرثر تشانغ "ديابلو" (الانجليزية- العربية)...كما أشرف على تحكيم واختيار وترجمة وتحرير ومراجعة قصائد مختارة لشعراء حاثيين عالميين(انجليزية –عربية) لحولية الشعر العالمي ومختلف منشورات مركز IPTRC الدولي لسنوات: 2015و2016و2017 و2018 و2019

# الفائز: د. جمال الجزيري
# صيَّادٌ على الطريق

هل غفوتُ واستيقظتُ؟ أم أنني لم أنمْ أصلا؟ أم أنني نائم وأظن أنني استيقظتُ؟ يبدو أن الاحتمال الأخير هو الأرجح، فلا أظن أنني أرقد على السرير على ظهري هكذا: وجهي للسقف أو للسماء ويداي مفرودتان بجانبي على اتساعهما وكفاهما نحو السماء أيضا؛ ففي العادة أنام على جنبي الأيمن أو جنبي الأيسر وتكون يدٌ تحت خدي ويدي الأخرى مضمومة إلى صدري، وأتّخذ في الغالب وضع الجنين أو وضع حرف نون ويمتد طرفه الأخير للوراء، مع أنني لا أمسك بالقلم أثناء وجودي في السرير، فإذا ما احتجتُ إليه أفتح جهاز التسجيل بهاتفي وأسجّل عليه ما يتراءى لي. ولكنني الآن أحسُّ بالغرابة، وأرى أنه من الأفضل أن تنصتَ عيناي لما أراه حتى أتحقق من تفاصيله أو أقبض عليها بعينيّ، ثم أسجلها لاحقا بشكل متسق ومترابط بناء على ما يتبقّى منه في ذاكرتي. وبالرغم من أن باب غرفتي مغلق والنور مطفَأ أيضا، يظهر نور كضياء الشمس قبل الشروق أو بعد الغروب. أستبشر به؛ فهذا الضوء علامة خير وانسجام وسكينة وتوحُّدٍ بالكون بالنسبة لي.

تتلاشى أصوات زوجتي وأولادي التي كانتْ تأتيني خافتة من الصالة في شقّتنا في الغربة...

نعم!! أين الانسجام فيما أراه أمامي الآن؟!! يبدو شكلي مثيرًا للضحك عندما أقارنه بما أعرفه عنّي. فلا أذكر أنني ارتديتُ بدلة كاملة منذ بداية شبابي، عندما كنتُ أظن أن البدلة زي رسمي يضفي وقارًا على شاب في مقتبل حياته ربما لا يمتلكه، أو كي يقول ذلك الشاب إنه انتقل من مرحلة الدراسة والتلمذة إلى مرحلة الرجولة الحقّة والعمل. ومما يزيد استغرابي أنني أضع فوق رأسي عمامة مثل تلك التي كان يضعها أبي وجدي، بل تزداد على عمامتهما ضخامة، وتكاد تقارب العمامة السودانية، ولكنّ ملابسي لا توحي بالاتساع ولا بالحرية. فأمسح دمعة من على خديّ وأدعو الله بالبراح والرخاء لإخوتنا وأخواتنا في السودان، بدلا من هذا الحلم الغريب الذي من المؤكَّد أن نصري الذي لم يكتمل هو الذي جاء به . وتكتمل السخرية عندما أجد في قدميّ حذاءَ صيدٍ طويلَ الرقبةِ من تلك الأحذية التي يمكنك أن تراها في أفلام رعاة البقر. أنظر للوراء، أجد أنني ركنتُ سيارتي بجانب الطريق أو خارجه فوق الرمال. وأجد أنني أثبّتُ في خلفها ما يشبه الصندوق الذي توجد في جهته من الداخل بالجانب الملتصق بالسيارة حلقات حديدية ومربوط في كل منها حبل، كأنها معَدَّة لربط أشياء فيها سأحصل عليها من وقفتي

هـذه. صـندوق مثـل تلـك الصـناديق الـتي قـد تراهـا في سـيارات أهـل شـرقطون عنـدما يـأتون لزيـارة المدينـة الكـبرى في الإجـازات أو المواسـم، حيـث يضـعون فيـه متعلقـاتهم. وأسـتغرب هـذه السـيارة الكـبيرة، فأنـا لا أحـب السـيارات الكـبيرة، ولا أميـل إلى الضـخامة في أي شـيء، فـأرى أنـه لا بد أن يتناسـب حجـم أي شـيء مـع قـدر الحاجـة إليـه، وأن الكفـاءة أهـم مـن الحجم والضخامة.

أنظـر للأمـام، أجـد مـا يشـبه الغابـة، بـالرغم مـن أنـني أدرك تمامًـا أن الطريـق الصـحراوي الغربـي الموصـل مـن القـاهرة إلى الصـعيد لا توجـد بجانبـه غابـات، كمـا أنـني أذكـر أن الجـيش خصـص مسـاحة كيلـومترين علـى جـانبي الطريـق وبامتـداده للأعمـال أو الخـدمات العسـكرية ونـزعَ ملكيتهـا مـن الأهـالي في حالـة امـتلاك الأهـالي لهـا. وبـالرغم مـن أن جـوَّ الغابـات يـوحي لـي بالرعـب والخطـر المحتمـل، وربمـا يرجـع ذلـك إلى أن عـددًا كـبيرًا من أفـلام الرعـب تـدور أحـداثها في الغابـات، سـواء أكـان الـذهاب إلى هـذه الغابـات للنزهـة أم للصـيد أم حتـى مـرورًا بهـا للـذهاب إلى مكـان آخـر، أجدني أنظر إلى البندقية التي في يدي، وأقول لنفسي:

- لسـتُ علـى طريـق الحـج أو العمـرة، ولا يوجـد مـانع يمـنعني مـن الصيد.

أنظر للوراء نحو السيارة وأكاد أرى الحبال المربوطة في الصندوق تومئ لي، كأنها تشجعني على التقدم في أعماق هذه الغابة. أستغرب هذه الإيماءة، ويخطر لي أن الحبال ذاتها مصنوعة من أشجار كانت ذات يومٍ تتبختر في الغابة. وفي الوقت ذاته، أحسُّ كما لو كانت الحبال تريد أن تنتقم من الحيوانات التي كانت تأكل من الأشجار المصنوعة منها هذه الحبال. وفوق كل ذلك يلحُّ عليّ صوتٌ يقول:

- هل ستذهب إلى أهلك ويداك فارغتان؟ لا بد أن تذهب لهم بوليمة تستحقُّها أفواههم.

ولا أعرف لماذا يذكّرُني كلامه بأغنية "لا تكذبي" لنجاة الصغيرة، وكأنني أنا الذي أتغنّى بها وأوجّه كلامي لأولئك الذين ينتظرون يديّ المملوءتين، وبالإضافة إلى نبرة الاتهام في كلام الأغنية أضيف لها نبرة المطرب عزيز عثمان في أغنيته "بطلوا ده واسمعوا ده" التي يغنِّي فيها عن الغراب الذي زوّجوه "أحلى يمامة" وأسنانه البارزة التي يمكنها أن تنغرز في اليمامة، فأرى أصحاب هذه الأفواه وهم يأكلون أرضي ويأكلونني أنا شخصيًّا لأنهم أكلوا ذكرياتي وبصماتي وشعوري بالامتداد في عمقِ الأرض، وأجدني أسأل نفسي:

- ما الذي يدعوك لهذا؟

دون أن أستطيع أن أحدد المقصود بـ "هذا"، مع أنني أُرَجِّحُ أنه الذهاب، وفي الوقت ذاته يحيلني الذهاب إلى التوغُّلِ في الغابة والصيد، مع أنني لستُ صيَّادًا. وأجدني أجيب على نفسي:

- ربما صلة الرحم، وربما رغبتي في أن أصل نفسي بنفسي.

وفجأة أصرخ وأقول:

- ها هو، ها هو، يا ولد.

وأدرك أنني أنا الولد. ومع ذلك، أحسُّ برعشة، فبعيدًا عن الطيور التي كنا نصطادها من على الأشجار في صبانا ونذبحها ونجهّزها بعيدًا عن آبائنا وأمهاتنا، لم أذبح أي طائر أو حيوان آخر. لماذا أنا هنا الآن؟ ولماذا أتشبّث بالبندقية في يدي وأنا الذي ارتعشتْ يدي واضطرب قلبي عندما لمستُ البندقية التي كنا نحمي أنفسنا بها من اللصوص قديمًا؟!!

وكأن كل هذه الرعشة وهذا الاضطراب مجرد ذكريات، فها أنا أتقدم للأمام، وكأنني لم أحسّ بشيء، وكأن الغابة واعدة، ويبدو أنني ألبّي رغبة قديمة في المغامرة، أو أنني أريد أن أنتقم من أحد، أو أنني أريد أن أحسَّ بأن هذه الغابة في أرضي، أو أنني أقول: "لبَّيْكَ" ولا أعرف الذي أخاطبه بها إلا عن طريق الحدس الغامض. وأكاد أسمع صوت "الشيخ

عصــفور" المجــذوب في فــيلم "يوميــات نائــب في الأريــاف[1]" أو صــوت تلاميذ المدارس في فيلم "السوق السوداء[2]":

خطواتك يا ابن آدم،

بلادي، بلادي، بلادي،

تاتا خطّي العتبة،

تاتا، تاتا، يا نادم،

غاباتي، غاباتي، غاباتي،

ها هي الفرائس هناك،

ها هي العزائم هناك،

ها أنت هنا،

ها هو، ها هو،

لا تفلِتْه،

ولا تقتُلْه،

تلك الحبال علامة،

تلك السيارة خزائن قمحٍ،

[1] فيلم مصري تم إنتاجه في عام 1969، مأخوذ عن رواية بنفس الاسم لتوفيق الحكيم، سيناريو وحوار ألفريد فرج وتوفيق صالح، وإخراج توفيق صالح. ويجسد فيه شخصية الشيخ عصفور الفنان عبد العظيم عبد الحق.

[2] فيلم مصري تم إنتاجه في عام 1945، من إخراج وتأليف كامل التلمساني، وحوار بيرم التونسي.

هذه البندقية دليل،

وهذه الغابة صاحبك في السفر،

يا بُشْرى،

ولا بشرى،

فلا تبتئسْ،

ولا تتأخرْ عن موعدِكَ.

ما هذا الكلام؟ كان كلام الشيخ عصفور وتلاميذ المدارس واضحًا وعميقًا في الفيلمين، ولكن الكلام هنا عميق لدرجة يصعب عليّ فهمُه! من أين ينبع ذلك الصوت؟ الخطوات وتاتا خطوات الطفولة التي يطأ بها الطفل بقدمية في بيت الإله عند أجدادنا الفراعنة. والعتبة سلَّمٌ ودرجة، والبلاد بلادي، والغابات أرض الله الواسعة، ومن الواضح أن الفرائس أو الطرائد تسكن هذه الغابات، والفرائس تُوَازِيها العزائمُ، فهل هي عزائم الفرائس ذاتها التي يبدو أنها تسعى لأن تتخلص ممن يفترسها؟ أنا أنا، لكن مَن هو ذلك الذي يطالبني الصوت بألا أفلتَه وفي الوقت ذاته يطالبني بألا أقتله؟ الحبال هي تلك الحبال المربوطة في صندوق السيارة، ولكن ما علاقتها بخزائن القمح؟ فخزائن القمح تذكّرني بقصة سيدنا يوسف في القرآن، ولكن الخزائن ملحوقة

بالبندقية، فهل هناك أحد يسرق هذه الخزائن؟ وما علاقتي أنا بها؟! من الواضح أن البندقية بندقيتي! وكيف تكون الغابة صديقتي في السفر؟ كيف تتحرك معي وأنا الذي نزلتُ من سيارتي لأصطاد منها شيئًا لا أعرف عنه شيئا؟! والبشرى تذكرني أيضا بقصة سيدنا يوسف، وعندما تأتي بعد الخزائن والعزائم وتاتا والغابات والخطوات، فمن المؤكد أنها ليست مجرد بشرى للقافلة السّيَّارة التي عثرت على سيدنا يوسف، وإنما يتسع مداها ليشمل الغابات وبيت الله ويشملني. وكيف تكون بشرى ولا تكون بشرى في الوقت ذاته؟ هل هي بشرى، ولكنها تتضمّن في طيّاتها أو تكشُّفِها أشياءً تبدو على أنها مناقضة للبشرى، كالدماء على سبيل المثال؟ ولكن الصوت يطالبني بألا أبتئس أو أحزن أو أقنط من رحمة الله، وفي الوقت ذاته يطالبني بالالتزام بموعدي! ما هو موعدي هذا؟ يبدو أنني في مهمة ما لا أعرف عنها شيئًا، أو على الأقل لا أعرف تفاصيلها، وهي في الوقت ذاته حاسمة، لأنها هي التي تختم كلام الصوت، ولأنها تبلورُ كلَّ التفاصيل الواردة في كلام ذلك الصوت بشكل أو بآخر. ويراودني إحساس فجائيّ بأنني صرتُ صيادًا ماهرًا، وأنني يمكنني الصيد بثقةٍ، وأن هناك أشخاصًا آخرين غير أهلي المفجوعين ينتظرون صيدي وطرائدي.

أحسُّ بيدٍ تربّتُ على كتفي، وأجد أنني أجلس على جذع شجرة مقطوعة وأُنِيمُ وجهي في كفيّ وأنا مغمض العينين، كأنني في استراحة محاربٍ، محارب لم يبدأ حربه الحقيقية بعد، وكان يظن أنه سلّم أمره إلى الله واكتفى بالفرجة على العالم حوله والانعزال عن كل أنواع العبث. أنظرُ لأعلى، فلا أجد أحدًا، ومع ذلك ما زلتُ أحسُّ باليد الحانية التي تربت على كتفي وما زالتْ تمسك به، وأسمع صوتًا يقول لي:

- أنا معك، فلا تخف، ولا تحزن.

أستبشر وأرتعش خوفًا في الوقت ذاته، فكلامه يذكرني بكلامِ سيدنا محمد لأبي بكر الصديق وهما في الغار ويطلب منه عدم الحزن لأن الله معهما وسينصرهما[3]. وأرتعش لأنني أحس بأنني بدأتُ في الهذيان، فمن أنا حتّى أشبِّهَ موقفي بموقف سينا محمد وسيدنا أبي بكر؟ فقط خرجتُ بسيارتي لأسافر إلى أهلي وأَصِلَهم، وأنا لا أحسّ تجاههم بأي شيء بعد كل ما فعلوه وبعد أن أفسدهم ما أَقْتَطِعُه لهم؛ فالعطاءُ بلا حسابٍ مَفْسَدَةٌ. ولكنني أتذكر أيضا الآية التي يخاطب فيها ربنا السيدة مريم ويطلب منها عدم الحزن ويبشرها بالولادة الميسَّرَة والبشرى الكبرى[4]، وأتذكر كلام الله لسيدتنا أم موسى بألا تحزن وبأنها ستقرُّ عينها

[3] "**إِلَّا** تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا **تَحْزَنْ** إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ" (سورة التوبة، 40).

[4] "فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا **أَلَّا تَحْزَنِي** قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا" (سورة مريم، 24)

بابنها، وأتذكر كلام الملائكة لسيدنا لوط بألا يخاف وألا يحزن وبأن الله سينجيه. فأطرد جزءًا من خوفي، لأن هذه الآيات تتقاطع مع كلام الصوت السابق فيما يشبه القصيدة بشكل أو بآخر، ولا أستطيع أن أطرد الخوف كله، لأنني أحسُّ بأن الموقف أكبر منّي، وأنني مجرد إنسان وصياد ومسافر وجالس الآن على جذع شجرة أحاول أن أجمّع تفاصيلي أو أجزائي كي أستطيع أن أفهم شيئًا مما يدور بي أو حولي، وفي الوقت ذاته أحسُّ بأن الفهم مجرد خطوة أو مرتبة قد تكون أقلَّ من الإحساس بالموقف والكلام، فكثيرًا ما كنتُ أحسُّ بأن الحياة أعمق من المنطق والفهم، وأن محاولة فهمِ كلِّ شيء قد تُحيلُ جوانبَ كثيرة من الحياة إلى مجرد تجارب مملَّة لا روح فيها.

أسمع الصوت مرة أخرى يقول:

- أنا معك، فلا تخف، ولا تحزن. أنا معك، وأنت معك.

أستبشرُ، مع أنني لا أفهم معنى "أنت معك"، ولكنني لا أبالي بالفهم، فأحس بأن معناها كبير وأنها توحي بالثقة والاسترجاع والاسترداد، وكأنني كنتُ ناقصًا أو كنتُ غائبًا عن نفسي، وها أنا أعود إليّ بعد هذه الوقفة في الغابة.

---

[5] "وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ **وَلَا** تَخَافِي وَلَا **تَحْزَنِي** ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (سورة القصص، 7).

[6] "وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا **لَا** تَخَفْ وَلَا **تَحْزَنْ** ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ" (سورة العنكبوت، 33)

يخيّـلُ إلـيّ أنـني غفـوتُ قلـيلا وأرى "أَمْنَـةً نُعَاسًـا[7]" وأحـسُّ بهـا، فأتساءل:

- هل كنتُ في حربٍ وكدتُ أُهْزَمُ؟

لا أستطيع الإجابـة علـى سـؤالي، ولكـنني للعجـب أجـد خدوشًـا علـى يـدي وتمزُّقَـاتٍ في ملابسـي، وأرى العِمَّـةَ بجـانبي علـى الأرض، وكـذلك حـذاء الصـيد. فـأنظر إلى ملابسـي مـن جديـد، فأجـد أن البدلـة الكاملـة لا أثـر لهـا، وأرتـدي تيشـرتَ وبنطلـونَ، ولكـنَّ قـدميّ حافيتـانِ، ورمـال صـحراء الغابة تحـتي اكتسـتْ بنباتـاتٍ لهـا ملمـسُ الأعشـابِ الـتي تنمـو بجانـب النيـل وقد ارتـوتْ بمـاء أحـسُّ برطوبتـه تحـت قـدميّ. يعـاودني مـا رأيتُـه في نعاسـي. أراه واضـحًا كأنـه أمـام عـينيّ. يرانـي أرنـب فيبتسـم. أبتسـمُ لـه وأحـرص على أن أمد لـه يـدي الـتي لا تمسـك بالبندقيـة. وأحـسُّ بـه ينـادي أرنبًـا آخـر، وأجـد الأرنـب الآخـر بالفعـل أمـام عـيني، وتبـدو أنهـا أرنبـة، مـع أنـني لا أستطيع أن أميّـز بـين الأرنـب والأرنبـة. مـن الواضـح أن الأرنـب يمثّـل أنـني اصطدتُه ببندقيتي، فيلقـي بنفسـه علـى الأرض كمـا لـو كـان ممثِّلًـا يمثّـل مشـهدَ المـوتِ في أحـد الأفـلام. تتحسّسُـه الأرنبـة بأنفهـا. أحـسُّ في عينيهـا غضـبًا تصـبُّه نحـوي، ولكنهـا سـرعان مـا تحـوّل الغضـب إلى ابتسـامة مثـل ابتسـامة الأرنـب السـابقة، وتهـزُّه الأرنبـة برأسـها، وأجـدهما يتجهـان نحـوي، ومـا أن

[7] "ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّن بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ..." (سورة آل عمران، 154).

يصلا إليّ حتى يعاودا تمثيل الموت بجانب جذع الشجرة الذي أجلس عليه.

أرى كلبًا يجري مذعورًا فيما بين الأشجار. وعندما يصل إلى شجرة، يختبئ خلفها للحظات، ثم يعاود الجري إلى الشجرة الأخرى، إلى أن يصل إلى خارج الأشجار على مقربة منّي ويقف. ينظر إليّ طويلًا في صمتٍ كأنه يفكر في شيءٍ ما، أو يحاول أنْ يصلَ إلى قرار في شيء ما، لكنَّ هذا التوقُّفَ لا يخفي نظرةَ السُّعارِ في عينيه. ومع أنني لم أعد أخاف من الكلاب، فإنني تقلقني نظرة السعار، وفي الوقت نفسه لا أعرف علاقتي بما يبحث عنه هذا الكلب. ينظر في الاتجاهات البعيدة، وكأنه يريد أن يتأكد إن كان هناك أحد معي أم لا. وبالرغم من أنني وحدي، تبدو نظرة رعب وصدمة في عينيه، وكأنه تفاجأ بأعداد غفيرة معي لا أعرف عنها شيئًا. يهمُّ أن يرجع للوراء، ولكنه سرعان ما يدير وجهه تجاهي ويستدير نحوي بالكامل. يبدو أنه يتصارع مع نفسه، فتتبدّل ألوانُ الطَّيْفِ في عينيه، كأنه يدير في رأسه ألفَ فكرةٍ وفكرةٍ. ترسو في عينيه نظرةٌ حاسمةٌ كلُّها غضبٌ واستماتةٌ، ويقفز في اتجاهي. ولكنه لا يهجم عليّ أنا شخصيًّا، وإنما على الأرنب والأرنبة. ودون أن أدع لنفسي فرصةً للتفكير فيما إذا كانت الكلاب تأكل الأرانب أم لا، أرفع بندقيتي بشكل

حاسم وحازم ومهدِّدٍ في وجهه مع أنني لا أنوي استعمالها. يزأمُ في وجه البندقية، كأنه يلومها أو يوبّخها، وكأنها مِلْكُه الخاصُّ ويقول لها:

- ماذا بكِ ارتميتِ في أحضان غيري؟ هل ما نفعله بكِ في الناس ستفعلينه فيّ أنا، يا عاهرة؟!!

لا أحتمل فكرة اتهامها بالعهر، فهي تخصُّني الآن، مع أنني لا أذكر أنني استعملتُها ذات يوم، فأقرِّب البندقيةَ إلى رأسه مباشرة، وأشير بيدي للأرنب والأرنبة بأن يختبئا خلفي، وأقول للكلب:

- معركتُك معي أنا الآن، فلا تتحجّج بحُجَجٍ واهية.

يراوغ فوهةَ البندقيَّةِ، ويركّز بصره على عينيّ بنظرة تهديد لا لبس فيها. أتذكّرُ كلام زوجتي لي:

- أنت يخافُ الجنُّ أن يظهر لك كي لا تستعبده وتجعله يكتب لك كتاباتك على الكمبيوتر ويجهّز لك طعامَك وشرابَك وشيشتَكَ.

أبتسم وأكاد أضحك. وبالفعل أضحك ضحكة طويلة تربكُ الكلبَ. تدور المعاني المتناقضة في عينيه للحظات، لكنه سرعان ما يستعيد صرامته وتهديده، وأقرأ في عينيه كلامه:

- إمـا أنـا أو أنـت هنـا. عشـنا وشـفنا السـائرين علـى الطريـق يسخرون من ملَّاكِ الطريق.

وبـالرغم مـن أن هـذا الكـلام مجـرد اسـتنتاج مـن جـانبي، يكـبرُ الموقـفُ في رأسـي، فكيـف لهـذا الكلـب الـذي يريـد أنْ يـنقضَّ علـى الأرنـب والأرنبة أن يتكلَّمَ عنِّي وعـن طريقـي هكـذا؟!! فـأمعن في السـخرية منـه بـأن أواصـل الضـحك، والغريـب أنـني أجـد الضـحك يخـرج مـن أعمـاق قلـبي. والأغـرب أنـني أضـع إصـبعي علـى زنـاد بنـدقيتي، فيـزداد الغضـب والتهديـد والاسـتخفاف في عينيـه. يراودنـي شـكٌّ في ضـرورة اسـتخدام البندقيـة، ولكـنني لا أسمح لأي أفكـار مـترددة بـأن تُخسـرني هـذا الموقـف الحاسـم، فـلا مجـال للـتردد أو الـتفكير الرخـو الآن. ومـا أن يبـدأ في الهجـوم علـيّ حتـى أضـغط علـى الزنـاد. وأفاجـأ بـأن رأسـه تحطّمـت بأكملـها أمـامي مـن جـراء طلقة البندقية، وأكتشف أنهـا ليسـت بندقيـة صـيد، وإنمـا هـي بندقيـة حقيقيـة. والغريـب أنـني أبـتهج بهـذا الاكتشـاف، وأبـتهج بتهشُّـم رأسـه أمـامي. وفي الوقت ذاتـه، أغمـض عـينيّ وأتنهّـد، كـأنني خرجـتُ مـن كـابوس هائـل. أكـاد أرى أنهـار العسـل خلـف رموشـي. يبـتهج قلـبي، ولا يـنغِّصُ هـذا الابتهـاجَ إلا صـدى طلقـة البندقيـة الـتي أطلقتُهـا منـذ قليـل، صـدى يـتردد كالغصـة في قلـبي ورأسـي. أسمـع أصـوات حركـات كـثيرة تُخـرجني مـن الـتفكير في هـذه الغصـة. فـأفتح عـينيّ علـى الفـور، وأجـد جنـودًا، مثـل أولئـك الجنـود الـذين

أراهم في الألعاب الإلكترونية التي يلعبها ابني على هاتفه، في كل موضع أمامي، وكل جندي يقف خلف شجرة ويشير بيدٍ آمرةٍ ناهيةٍ نحوي. لا أدع مجالًا لاستغرابي من مجيئهم إلى هنا، ولا من المكان الذي جاءوا منه، ولكنني أعرفهم جيدًا، فهم أنفسهم أصحاب الأزياء الرسمية السوداء الذين رأيتُهم من قبل في رواية "فيلم طويل[8]". ينقبض قلبي عندما أدرك أن ساحة الغابة تشبه الموقع الذي دارت فيه أحداث ذلك الفيلم الطويل. ولكنني أتذكر كلام زوجتي، وأتذكر أنني أطلقتُ رصاصةً من قبل، وأتذكر أن عيني لم تعد تلك العين الذي قد تنخدع بالمناظِر أو الكلام الملَوَّن بألوان الأحلام. فأهز رأسي لأنفض ما بقلبي من انقباض ولكي أتصرف بشكل فوريّ ومناسب مع هذه الوجوه التي طلعتْ في أوانٍ لم يعد أوانَها، أو هكذا أرى . أحاول أن أسترجع ضحكتي التي ضحكتُ بها في وجه الكلب، ولكن يبدو أنني متوتِّرٌ، فلا أحسُّ بالضحكة الواثقة الصافية. ومع ذلك، يبدو أنها حققتْ جزءًا من أثرِها، فها هم الجنود يختبؤون خلف الأشجار. في لمح البصر، أميل على الكلب وأقطع رقبته بحربةِ البندقية، وأرفع رأسه المنفجرة من أذنيه وأثبّتها في الهواء أمام عيونهم، فيخرجون من خلف الأشجار صامتين، لا يتقدمون ولا يتأخرون، كأنهم كائنات آلية بلا روح. وتنزل أياديهم بشكل آلي

[8] رواية قصيرة للمؤلف كتبت في سبتمبر وأكتوبر 2011 ونشرت في مجموعة رواياته القصيرة "شوط أول: ست روايات قصيرة" في مطلع 2018. وتظهر فيها الشاشة والمخرج باعتبارهما البطلين الرئيسيين اللذين يستطيعان أن يقلبا الواقع المضطرب الذي يعيش فيه الراوي ورفاقه إلى النقيض تماما واستغلاله في الدعاية لأيديولوجية ما، ويسعيان لأن يفقد البطلُ عقله واتزانه.

أيضًا نحو البنادق المتدلية من أكتافهم، ولكنها لا تستطيع الإمساك بالبنادق، كأن هذه الأيادي صارت أيادي صناعية لا تمتلك أصابعُها ليونةَ الحركة ولا القدرةَ على التشكُّل في هيئة قبضة يمكنها أن تمسك بالبنادق بشدة. أرمي برأس الكلب أمام أعينهم على الأرض. وأمسك بندقيتي بكلتا يديّ، وأتخذ وضعَ الرصد والتصويب كما أراه في الأفلام: البندقية موجَّهة للأمام، يد قابضة على الزناد ويد تمسك بالجزء الأمامي من البندقية، وعيني على العدسة.

أتقدَّمُ ببطءٍ وحذرٍ نحو الجنود. لا أحد يتحرك أو تظهر عليه علامات مقاومة أو هجوم، وكأنهم تحوّلوا بالفعل إلى أجسام صناعية، ولكنها بلا ذكاء صناعي، وبلا برمجة من أي نوع. وفي الوقت نفسه، ألاحظ تغيُّرًا على الأشجار، كأنَّ كلَّ جنديٍّ روحٌ شرِّيرةٌ تمتصُّ الحياةَ من الشَّجرةِ التي يقف بجانبها. يفزعني قلقي على الأشجار، فأُسْرِع نحو أقرب جندي لي، أهزُّه. لا يتحرك، لكنني أسمع صوتًا أشبه بصوت تسريب الغاز من أنبوبة بوتاجاز على سبيل المثال، وأخمّن أنه صوت تسريب أرواح الأشجار. يتصاعد فزعي على الأشجار، فلا ينقصُ هذه الأرضَ خللٌ في حياتِها النباتية، فهي أملٌ الآن بعد كل الخراب الذي أحسُّ به بقوة الآن ولم أكن أتصوّر أنه بهذا الحضور المميت. أصوب بندقيتي مباشرة على الجندي الذي أمامي بقوة وعزيمة وإصرار، فلا مجال للتردد

ولا المشاعر الرخوة ولا العيون المواربة. لا يتحرك الجندي، ولا يتوقف صوت التسريب. أضغط على الزناد، لا تخرج طلقة، ولكن الجندي يسقط أمامي تحت الشجرة. يتوقف صوت التسريب من الشجرة، لكنه مازال يصدر من الأشجار الأخرى. أسمع صوت الأرنب والأرنبة كأنهما يهللان، فأنظر للوراء وأجد أرانبَ صغيرةً بجوارهما، وكلهم ينظرون نحوي نظرةً أحسُّ فيها نوعًا من التشجيع.

أنفضُ رأسي عندما أحاول أن أحصي عدد الأشجار على سبيل التقريب. فمن الواضح أنني سأضطر لأن أفعل الشيء ذاته مع كل جندي عند كل شجرة. وفي الوقت ذاته، أحمد الله لأنني لستُ في حاجة إلى طلقات بعدد الأشجار، فما أعرفه أن عدد رصاصات هذه البندقية لا يتجاوز عشر رصاصات. أستعين على الشقاء بالله القدير، وأهمُّ بالعمل...

# السيرة الذاتية

## د. جمال الجزيري

**العمر: 47 سنة**

**الجنسية: مصري**

**محل الميلاد: محافظة سوهاج، مصر.**

**محل السكن الدائم: محافظة الجيزة مصر.**

**المهنة: دكتور جامعي، تخصص الأدب الإنجليزي، كلية الآداب بالسويس، جامعة السويس، وحاليا: أستاذ مشارك الأدب الإنجليزي في قسم اللغات والترجمة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة. / رقم الهاتف: 009660532101544 (السعودية) (واتساب واتصال). و01116490951 (مصر؛ واتساب) البريد الإلكتروني: elgezeery@gmail.com**

**جوائز**

*** المركز الأول في القصة القصيرة من جامعة جنوب الوادي 1995**

*** المركز الثالث في القصة القصيرة، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة 1996 – 1997 عن مجموعة بعنوان أساطير.**

*** المركز الثالث في النقد الأدبي، المسابقة المركزية لهيئة قصور الثقافة 1999 – 2000، عن دراسة بعنوان الرؤية الحضارية للإبداع عند شكري عياد.**

*** جائزة ناجي نعمان الأدبية لعام 2009 (جوائز الإبداع) عن ديوان شعر بعنوان وطن بطعم الأسئلة.**

*** تنويه لجنة التحكيم في الدورة السادسة لجائزة دبي الثقافية للإبداع (2008–2009) بمجموعة قصصية له بعنوان وجوه الطمي.**

*** جائزة عبد الغفار مكاوي للقصة القصيرة ضمن جوائز اتحاد الكتاب (مصر) 2010، عن المجموعة القصصية غلق المعابر.**

*** وسام التميُّز من الدرجة الأولى في القصة القصيرة في العالم العربي لعام 2010 عن المجلس العالمي للصحافة عن قصة بعنوان "الرئيس الجديد".**

* جائزة الدكتور زكريا الملكاوي في الشعر عن قصيدة بعنوان "امتلاء"، أبريل 2011.
* جائزة منف للرواية العربية الإلكترونية عن رواية بعنوان "بعد الطوفان"، 2017.
* جائزة دار السعيد للنشر والتوزيع، فرع الرواية، عن رواية بعنوان "طريق الخروج"، 2019.
* جائزة دار بوك بوتيك للنشر والتوزيع، في الرواية، عن رواية "ثرثرة فوق الفضاء الأزرق"، 2019.
* جائزة دار فصلة للنشر والتوزيع في القصة القصيرة، دورة الدكتور أحمد خالد توفيق، عن قصة بعنوان "عندما يلتقي المأسورون"، 2019.
* جائزة دار إضافة للنشر والتوزيع، في مسابقة القصة القصيرة 2019، عن قصة بعنوان "الخروج إلى العاصفة".
* جائزة دار المكتبة العربية للنشر والتوزيع، في مسابقة القصة التاريخية، عن قصة بعنوان "المومياء المعاكسة"، 2020.
* جائزة دار الحلم للنشر والتوزيع، في مسابقة القصة القصيرة، عن قصة بعنوان "تمردات صغيرة"، 2020.

الإصدارات الأدبية الورقية

1- أصدر اثنتي عشر مجموعة قصصية: فتافيت الصورة (2001)، بدايات قلقة (2004)، نقوش على صفحة النهر (2009)، غلق المعابر (2010)، رائحة مأتم (2010)، اشتعال الأسئلة الخضراء (2011)، الطريق إلى الميدان (2011)، كاميرا ونظرة عين (2017)، صورة واحدة تكفي (2018)، اضحكْ يا ولدي (2018)، عيون جريحة (2018)؛ لا تتركني أمص دمك (2020).
2- كما أصدر أحد عشر ديوانا شعريًّا: لا تنتظر أحدًا يا سيد القصيد (2009)، حفل توقيع (2010)، ونظلُّ على الإشراق (2010)، أصوات نهر قديم (2010)، خارطة المطر (2010)، أسفار سيدة النهر (2011)، بنت النهار (2011)، ميدان المرايا (2011)، نظراتُ روحي (2018)، جذور إشراق (2018).
3- أصدر خمس روايات: شوط أول: ست روايات قصيرة (2018)؛ ثرثرة فوق الفضاء الأزرق (2019)؛ طريق الخروج (2020)؛ فاكهة محرَّمة (2020)؛ نصف مجهول (2020).
4- أصدر مجموعة نصوص هايبون: طواحين الكلام (2018).

| م | المؤلف | الصفحة |
|---|---|---|
| 1 | منى عبد اللطيف<br>مقدمة – القوى المغناطيسية للحب | 5 |
| 2 | أمال بسمة عريف<br>ريشة حلم و ألم – خلود في منفى القلم – مناجاة ليلية أنين القلب – حروف تتقن الحرفتين – لابد من شرةق الشمس – السيرة الذاتية | 8 |
| 3 | سارة بريز<br>متلازمة داون متلازمة الحب – متلازمة داون جزء 2 – | 31 |
| 4 | عالم من ورق – المحكومان بالاعدام – كيد النسا – السيرة الذاتية | 74 |
| 5 | هبة جمال أحمد<br>أنا أقبل – زفاف أخر الشهر – ظل قادم – فتاة المحطة – حجر أبيض ناعم – السيرة الذاتية | 87 |
| | وفاء بقاش<br>حلم الليل يجهضه واقع الظهيرة – خطيئة الميلاد – | |

| | | |
|---|---|---|
| 6 | الرسالة الرابعة عشر – رحم منسي – أكسجين قاتل – رؤية في الظلام – السيرة الذاتية | 126 |
| 7 | خالد وزيري<br>الكنز – السيرة الذاتية | 146 |
| 8 | سلوى آيت علي<br>الوجبة الاخيرة – السيرة الذاتية | 151 |
| 9 | سليم قسطي<br>زواج خطي – السيرة الذاتية | 160 |
| 10 | عبد القادر كشيدة<br>صباح أمسية عاصفة – السيرة الذاتية | 167 |
| | د. جمال الوزيري<br>صياد على الطريق – السيرة الذاتية | |